الدكتور ربيع لعور
أستاذ متعاقد بجامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية قسنطينة

من هو العالم؟!

جوابا لمن سأل:
هل في الجزائر علماء ؟

دار الموعظة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: من هو العالم؟

المؤلف: الدكتور ربيع لعور

الإيداع القانوني:2729-2013

ردمك:978-9931-347-08-8

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

دار الموعظة

للنشر والتوزيع

حي المنى رقم :63 محل ب

قسنطينة–الجزائر

مـــن هو العالم؟
جـــوابا لمـــن ســـأل:
هل في الجزائر علماء؟
تأليف د. ربيع لعور

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد : فإن حاجة الأمة إلى العلماء كحاجتها إلى الهواء والغذاء بل أشد، وكما أن البدن يسقم إذا تلوث الهواء أو فسد الغذاء، فكذلكم الشأن في حال الأمة؛ فإنها تمرض لمرض علمائها.

ولله در قتادة حين قال: " العلماء كالملح إذا فسد الشيء صلح بالملح؛ وإذا فسد الملح لم يصلح بشيء ".[1]

ووجود العلماء الربانيين أمان للأمة من الهلاك؛ لأنهم القائمون على الإصلاح، مصداقا لقول الله ﷻ: {**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ** }هود117.

وإذا كان العلماء بهذه المنزلة، فمعرفتهم من الأهمية بمكان؛ لأن الجهل بحالهم يفضي إلى مفاسد عظيمة، من أعظمها أن يتجرأ الأصاغر في وجود الأكابر، ويتجاسر السفهاء الجهلاء على العلماء الأجلاء.

وهذا ما حذر من مغبته النبي ﷺ حين قال : " **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ** قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ: **الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ** ".[2]

وحتى تتلافى الأمة هذا المزلق، لزمها أن تَجِدَّ البحث عن علمائها، وهو ما فعلته بنو إسرائيل حين سألوا موسى عن أعلم الناس، كما جاء في قوله ﷺ : " **قَامَ مُوسَى** عليه السلام **خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ قَالَ: فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ** ...".[3]

---

[1] . انظر: جامع بيان العلم (332/1) .

[2] . رواه أحمد، رقم: 13297 وابن ماجة، رقم: 4036 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعا، وصححه الألباني.

[3] . رواه البخاري، رقم: 122، ومسلم، رقم: 2380 عَنْ أُبَيّ بْن كَعْبٍ واللفظ لمسلم.

فتأمل كيف أقرهم على سؤالهم؛ ثم لما علم أن هنالك من هو أعلم منه ضرب إليه أكباد الإبل؛[1] فحقيق بنا أن نحرص على معرفة علمائنا وخاصة منهم علماء بلدنا حتى نرتوي من علمهم ونهتدي بهديهم.

بيد أن هذه الغاية النبيلة تعوقها معوقات، وتكتنفها سؤالات، لعل من أصعبها سؤال لطالما راودني منذ بداياتي في مراحل الطلب، فكثيرا ما كنت أتساءل كما يتساءل غيري من طلبة العلم؛ من هو العالم ؟ ما هو ضابطه ؟ وهل تزخر الجزائر المحروسة بعلماء ؟ وإن وجدوا فأين هم ؟ وكيف السبيل إليهم ؟.

وفي كثير من الأحيان تتباين الأجوبة؛ ففريق يثبت وجودهم وهم الأقلون، وفريق ينفي، وهم الأكثرون، ولم يقتصر هذا التباين على جماعة دون أخرى أو على حزب دون ثان، بل هذا ما يدل عليه لسان حالهم ومقالهم.

والدليل على هذا أن جُلَّ الجزائريين إذا أرادوا الشهادة لعمرو من الناس بالعلم، فإنهم يفزعون إلى علماء المشرق ممن يتوافقون معه في المشرب الفكري، أو التوجه الحركي التنظيمي ...

وإن تعجب فعجب منهم كيف يشهدون . مثلا . للإمام ابن باديس بالعلم، مستندين إلى بعض من تأخر عنه من غير الجزائريين !، مغفلين شهادة علماء بلده.

أنتوقف في نجومية رجل كهذا وأضرابه حتى تأتينا رسائل التزكية من المشرق !.

لا أقول هذا عصبية عمياء أو وطنية جهلاء وأعيذ بالله نفسي من ذلك، ولست بعاذل علماءنا في بلاد المشرق، ولكنني أعتب على أهل هذا البلد عقوقهم لعلمائهم الأموات، فما ظنك بالأحياء منهم ؟!

ويبدو أنها سنة ماضية في المغاربة والأندلسيين عموما، وسأنثر بين يديك شهادات تثبت ذلك؛ فهذا الإمام ابن حزم يحكي بلوعة حال الأندلسيين؛ فيقول: " وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر " **أزهد الناس في عالمٍ أهله** "، وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال: " **لا يفقد النبي حرمته إلا في بلده** " .

---

[1] . قد بينت الرواية أن أعلمية الخضر ﷺ على موسى ﷺ هي في الأمور الباطنة التي لا تعلم إلا من طريق الوحي، وهو ما أوضحه الخضر لموسى حين قال: " **يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ** ".

وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي ﷺ مع قريش، وهم أوفر الناس أحلاماً، وأصحهم عقولاً، وأشدهم تثبتاً، مع ما خصوا به من سكناهم أفضل البقاع، وتغذيتهم بأكرم المياه، حتى خص الله الأوس والخزرج بالفضيلة التي أبانهم بها عن جميع الناس، والله يؤتي فضله من يشاء.

ولا سيما أندلسنا، فإنها خُصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد.

إن أجاد قالوا: سارقٌ مغير، ومنتحل مدع، وإن توسط قالوا: غثٌ بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا: متى كان هذا ؟ ومتى تعلم ؟ وفي أي زمان قرأ ولأمه الهَبَل.

وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بائناً يعليه على نظرائه، أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها، فهنالك حمي الوطيس على البائس، وصار غرضاً للأقوال، وهدفاً للمطالب، ونصباً للتسبب إليه، ونهباً للألسنة، وعرضةً للتطرق إلى عرضه، وربما نحل ما لم يقل، وطوق ما لم يتقلد، **وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه**، وبالحري وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحظ أن يسلم من المتالف وينجو من المخالف.

فإن تعرض لتأليف غمز ولمز، وتعرض وهمز، واشتط عليه، **وعظم يسير خطبه، واستشنع هين سقطه**، وذهبت محاسنه، وسترت فضائله، وهتف ونودي بما أغفل، فتنكس لذلك همته، وتكل نفسه وتبرد حميته، وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعراً، أو يعمل رسالة، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، ولا يتخلص من هذا النصب، إلا الناهض الفائت، والمطفف المستولي على الأمد ".[1]

وليس ببعيد عما ذكره ابن حزم ما حكاه ابن بشكوال في الصلة، فقال: " وقرأت بخط شيخنا أبي الحسن بن مغيث: قال: أنشدني أبو مضر زيادة الله بن عبد الملك التميمي، قال: خاطبني أبي من مصر عند كونه بها في رحلته:

يا أهل الأندلس ما عندكم أدبٌ ... بالمشرق الأدب النفاح بالطيب

يدعى الشباب شيوخاً في مجالسهم ... والشيخ عندكم يدعي بتلقيب ".[2]

---

[1] . رسائل ابن حزم (177/2).

[2] . الصلة، ص 294.

ورغم كثرة مخالفة الإمام ابن العربي لابن حزم إلا أنه يتوافق معه في هذه الحيثية، فيقول عن عن أهل الأندلس: " فإن ظهر عندهم من له معرفة، أو جاءهم بفائدة في الدين، وطريقة من سلف الصالحين، وسرد لهم البراهين، غمزوا جانبه، وقبحوا عجائبه، وعيبوا حقه استكبارا، وعتوا، وجحدوا علمه، وقد استيقنته أنفسهم ظلما وعلوا، وسعوا في إخمال ذكره، وتحقير قدره، وافتعلوا عليه، وردوا كل عظيمة إليه ".[1]

وقد ذكر الإمام المقري خبرا عجيبا عن العلامة ابن خميس التلمساني الذي زهد فيه أهل بلده، وعرف له المشارقة قدره؛ فقال: " قال السلطان أبو عنان . رحمه الله تعالى .: أخبرني شيخنا الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي . رحمه الله تعالى . ، قال: لما توجه الشيخ الصالح الشهير أبو إسحاق التنسي من تلمسان إلى بلاد المشرق اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، فكان من قوله له: كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله ابن خميس وجعل يحليه بأحسن الأوصاف، ويطنب في ذكر فضله، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجباً، وقال: من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلده؛ فقال له: هو القائل:

عجباً لها أيذوق طعم وصالها ...

قال: فقلت له: **إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم، إنما هو عندنا شاعر فقط !**، فقال له: **إنكم لم تنصفوه، وإنه لحقيق بما وصفناه به.**

قال السلطان: وأخبرنا شيخنا الآبلي المذكور أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة كانت له تعلو موضع جلوسه للمطالعة، وكان يخرجها من تلك الخزانة، ويكثر تأملها والنظر فيها، ولقد تعرفت أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى قاضي القضاة تقي الدين المذكور لم يقرأها حتى قام إجلالاً لها ".[2]

قلت: والقصيدة المذكورة من مشهور نظمه ومطلعها:

(عجبا لها أيذوق طعم وصالها ** من ليس يأمل أن يمر ببالها)

(وأنا الفقير إلى تعلة ساعة ** منها وتمنعني زكاة جمالها).[3]

---

[1] . العواصم من القواصم، ص 369.

[2] . نفح الطيب (305/6).

[3] . نفح الطيب (303/6).

وقال الشيخ الورثيلاني (ت: 1193 هـ) في رحلته الشهيرة عن قسنطينة وأهلها: "وهذه المدينة غير خالية من العلماء ولا من الفضلاء والصلحاء غير أنها سريعة بأهل الصلاح؛ فمن ظهر منها بالقبول والفضل إلا أسرعت بهلاكه؛ فينقبض ساعتئذ، وهذا معلوم عند أهلها؛ إما لإساءة ظن أهلها فلا ينتفعون بمن ظهر فيهم، أو لأنها كثيرة الملذوذات فقل فيها أهل الفضل من أصحاب الخيرات ".[1]

إذن؛ استمرأ المغاربة هذا السلوك فورثه الصغير عن الكبير، من لدن فجر الإسلام إلى عصرنا هذا، وإليك شهادتين لعالمين معاصرين، أحدهما: الشيخ حمزة بوكوشة،[2] وهو من علماء الجمعية المغمورين حيث ذكر أحد القامات العلمية الجزائرية؛ وهو الشيخ أبو حامد فرحات بن الدراجي؛[3] فقال عنه بلسان الواجد: " وإني أجزم وأقسم لو أن صاحبنا عاش تحت سماء القاهرة، لكان من أفذاذ زعمائها أو من هيئة كبار علمائها، **لكنه عاش تحت سماء الجزائر مقبرة العبقرية والنبوغ!**..... ".[4]

والثاني هو الدكتور أحمد الريسوني الذي يقول عن العلامة ابن عاشور: " منذ أن تعرفت على التراث العلمي للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، واستوعبت قيمته وأهميته، وأنا أعرب عن أسفي لما أصابه من حيف وإهمال.

---

[1] . الرحلة الورثيلانية (356/3).

[2] . ولد سنة 1906 بوادي سوف، ونشأ في بسكرة وتلقى العلم على أيدي علمائها وأبرزهم العلامة إبراهيم العوامر، ثم التحق بالزيتونة وحصَّل شهادة التطويع، سنة 1930 م، أسهم في تنظيم المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء، تولى الإشراف على مدارسها بدلس؛ كما عمل مساعدا للإمام ابن باديس في التدريس بالجامع الأخضر، كما درس في معهده بعدها، له مقالات كثيرة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 1994 م. انظر: تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية (5/2).

[3] . ولد سنة 1906 م ببسكرة، نال شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1931 م، انضم إلى جمعية العلماء بعد رجوعه، وقد تولى نيابة الكاتب العام الإمام التبسي سنة 1937 م، تولى التدريس بمدرسة الشبيبة بالعاصمة، له أكثر من ثلاثين مقالا، وأبدى ندمه في آخر عمره على زهده في التأليف، وقد توفي ـ رحمه الله ـ بعد مرض في البليدة سنة 1951 م وأبَّنه الإمام الإبراهيمي وصلى عليه الإمام التبسي، ورثاه العلامة أحمد سحنون.

انظر: تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية (13/1) (170/2).

[4] . انظر: تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، مقال: صديقي فرحات (175/2).

وكثيرا ما كنت أقول: ماذا لو كان ابن عاشور مصريا أو شاميا أو سعوديا ؟! فالانتماء التونسي والمغربي الإفريقي عموما، هو نفسه جزء من المشكلة، فهي مشكلة تاريخية جغرافية قديمة".[1]

هذا، وقد نظرت في الأمر من خلال جملة من النصوص الشرعية مستظلا بكلام العلماء الراسخين؛ فخلصت إلى أن هنالك شروطا اشترطها الجزائريون عمليا لعالم قطرهم دون غيره !، واتخذوها قميص عثمان في امتناعهم عن الأخذ من علمه، وهي على التحقيق ليست بشروط صحة في مسمَّى العالم، كما سيأتي بإذن الله تعالى في النقاط الآتية:

أولا: خلو العالم من تزكية مشرقية:

العلماء لعامَّة الأمة كنجوم السماء، قد تتلبد السماء بالسحب فتحجب رؤيتها حينا، لكنها لا تلبث أن تنقشع راغمة لتسفر النجوم عن لمعانها في الليل البهيم؛ فيستدلَّ بموقعها المسافر، ويستهديَ بها الحائر.

لكن بعض العيون قد تتعامى عن نور النجم إما ضعفا في حاسة الإبصار، وإما مكابرة على حدِّ قول القائل: " **أريها السُّها وتريني القمر**".[2]

وأقوى الناس إبصارا للنجوم هم ذوو البصر النافذ، وهم كل رحالة حاذق خبر دروب القفار والمفاوز، فتولد عنده العلم بمواقع النجم ودلائله.

وإذا كان هذا شأن نجوم السماء الحسية، فهو أيضا شأن نجوم السماء العلمية، فأي عالم لم يبصره ذوو الأبصار النافذة من أهل العلم، ولم يقفوا على موقعه، فليس بنجم؛ لأنه لما خفي على العلماء الذين تميزوا بطول مدى أبصارهم فهو أخفى على عامة الناس ممن يبلغ مدى بصره أرنبة أنفه.

غير أن المرجع في هذا ابتداء إلى علماء بلده، والأصل في هذا هو ما جرى عليه عمل سلف الأمة الصالح، وهو ما يستفاد من قول الإمام مالك: " ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفُتيا جلس، حتى يشاور فيه **أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد**، فإن رأوه لذلك أهلاً جلس.

وما جلست **حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم** إني لموضع لذلك ".[1]

---

[1] . الريسوني: البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله، ص 25.

[2] . يضرب لمن يغالط فيما لا يخفى. انظر: مجمع الأمثال للميداني (291/1).

ففي كلامه هذا إشارة إلى منهج السلف في تزكية العالم وإظهار فضله، وهو ما يستشف من قصة ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ حين قَالَ: "كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ.

فَقَالَ: **إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ.**

فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾؛ فَقَالَ **أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ **أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ** قَالَ: **مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ** ".[2]

ففيه حرص عمر ﷺ على بيان منزلة ابن عباس ﷺ وإظهار فضله، وهو ما حذا بعمر إلى تنزيله تلك المنزلة التي تبوأها عنده دون سائر أقرانه.

غير أن في كلام مالك تقييدا مهما، حيث قيد التزكية بعلماء الجهة، وهو إشارة إلى أن المعتبر في التزكية هي تزكية من خالطك وجاورك، فإذا حصلت التزكية مع القرب، والقرب حجاب !، فهذا أعظم دليل على ثبوت صفة العلم للرجل.

وهذا ما اعتبره المحدثون في عدالة الراوي، فقعدوا له بقولهم: **بلديُّ الرجل أعرف ببلديه.**

فتجدهم يقدمون كلام البلدي المعتدل في الجرح والتعديل على غيره؛ لأن بعض الضعفاء إذا جلس إليهم النقاد رووا أحاديث مستقيمة، فيوثقهم الناقد بناء على هذا، بخلاف البلدي فلا يتأتى للضعيف أن يستر عيبته منه.

وقد ألفينا بعض العلماء زكوا من لم يختبروا حاله فزل أقوام بشهادتهم، وسأذكر نموذجين لهذه الجزئية، أولهما: عبد الكريم بن أبي المُخَارِق، فقد روى عنه الإمام مالك لما لقيه بمكة، ومع هذا فقد احتاط فروى له في الفضائل، وقد اعتذر له الحافظ ابن عبد البر؛ فقال: " ... وكان حسن السمت؛ غرَّ مالكا منه سمته **ولم يكن من أهل بلده فيعرفه،** كما غر الشافعي من إبراهيم بن أبي يحيى حذقه ونباهته فروى عنه، وهو أيضا مجتمع على تجريحه وضعفه، **ولم يخرج مالك عن عبد الكريم بن أبي المخارق حكما في موطئه وإنما ذكر فيه عنه ترغيبا وفضلا** وكذلك الشافعي لم يحتج بابن أبي يحيى في حكم أفرده به ... ".[3]

---

[1] . ترتيب المدارك (142/1).

[2] . رواه البخاري، رقم: 3627.

[3] . التمهيد (51/5).

وقال الإمام الباجي تعليقا على كلام من ضعفه: " ... وهذا الذي قالوه فيه صحيح لا خلاف فيه بين أهل الحديث، وإنما أخرج عنه مالك حديثا مقطوعا ولم يعرفه؛ **لأنه لم يكن من أهل بلده** وإلا فهو أورع من أن يحدث عن مثله ".[1]

وقال عنه في مقام آخر:" وقد أخذ مالك مع كثرة توقيه وانتقائه وعلمه عن عبد الكريم بن أبي المخارق البصري وتركه أهل البصرة أيوب وغيره **فكان القول قولهم فيه لما كانوا أعلم بحاله**".[2]

وثانيهما: محمد بن حميد؛ فقد وثقه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، ولم يكن بلديهما فخفي عليهما أمره، حتى قال أحمد: " لا يزال بالرَّي علم ما دام محمد بن حميد حيا ".[3]

لكن العلماء **المنصفين** من أهل بلده غمزوه، وعلى رأسهم أبو زرعة الرازي، قال ابن حجر: " ... وقال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة: سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد فأومى بإصبعه إلى فمه؛ فقلت له: كان يكذب فقال برأسه: نعم؛ فقلت له كان قد شاخ لعله كان يعمل عليه ويدلس عليه فقال: لا يا بني كان يتعمد ".[4]

قال الذهبي: " قال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو حدث الأستاذ عن محمد بن حميد، فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه.

قال: إنه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه، لما أثنى عليه أصلا.

قال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك [وهو رازي]، يقول: دخلت على ابن حميد، وهو يركب الأسانيد على المتون.

قلت: آفته هذا الفعل، وإلا فما أعتقد فيه أنه يضع متنا، وهذا معنى قولهم: فلان سرق الحديث".[5]

---

[1] . التعديل والتجريح (918/2).

[2] . التعديل والتجريح (1104/3).

ودونك بعض كلام علماء بلده البصريين فيه : " قال معمر: ما رأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبد الكريم أبا أمية فإنه ذكره فقال . رحمه الله .: كان غير ثقة؛ لقد سألني عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة ... قال أيوب: لا تأخذوا عن أبي أمية عبد الكريم؛ فإنه ليس بثقة ... وقال خالد الحذاء: كان عبد الكريم إذا سافر يقول أبو العالية: اللهم لا ترد علينا صاحب الأكسية ". تهذيب التهذيب (603/2).

[3] . انظر: سير أعلام النبلاء (504/11)، تهذيب التهذيب (547/3).

[4] . تهذيب التهذيب (547/3).

[5] . سير أعلام النبلاء (504/11).

وهذا المزلق هو الذي حصل لشريحة عريضة من الشباب الملتزم، فهم لا يطمئنون إلى علم الرجل إلا إذا زُكِّيَ، ولكن المعتبر عندهم هو وفود التزكية من المشرق.

فقصروا التزكية على موافقيهم من المشارقة، ولعمر الله إني ألفيت بعضهم . أحيانا . يستند في تزكية بعض مشايخ هذا البلد إلى بعض المشرقيين، والمزكِّي دون المزكَّى بمفاوز!.

وهذا ما استغله بعض المتطفلين على العلم، والمتسلقين على ظهور الرجال، فارتقوا المراقيَ الصعبة، وتسنموا منازل العلماء مستندين إلى معرفة فلان من العلماء بهم، مستغلين طيبة بعض العلماء لتزويق سمعتهم، والله محيط بما يعلمون.

وقد حدثني بعض المشايخ ممن درسوا في بعض بلاد المشرق، أن بعض هؤلاء . وهم بحمد الله قلة . يغشون بعض المجالس والحلق من غير مواظبة، فإذا رجعوا تدثَّروا بشرف التلمذة على فلان وعِلَّان من العلماء.

وهذا هو عين ما شدد النهي عنه رسول الله ﷺ كما جاء في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ: إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ** ".[1]

ولا يخطرنَّ ببالك أنني أحط من قيمة التزكية، ولكنَّ كلامي منصب على حكم معلل بعلة، يدور معها وجودا وعدما.

وإذا كان هذا شأن الغلاة، فقد قابل غلوهم فريق آخر بالتفريط، وفقا لقانون الفعل ورد الفعل، فلم يعتبروا شرط التزكية في العالم، الذي هو سنة متبعة.

فهتكوا بصنيعهم هذا ما جرى عليه عمل الأمة باعتبار التزكية فيمن يؤخذ عنه العلم، واتهموها بلسان حالهم بالتواطئ على الباطل، ولما تمَّ لهم ما أرادوا أسلموا رقابهم إلى بعض من جُهِل حاله في العلم، ففتنوا بعض من لم يقف على حقيقة نفسه، فصدَّقهم على جهلهم وأحسن الظنَّ بنفسه.

ثم راح يرخي العنان لنفسه؛ فبوأ نفسه منزلة هو دونها بمراحل، ونصَّب نفسه للحديث في مسائل لو سئلها أبو بكر ﷺ لجمع لها الصديق أهل بدر، وبصنيعه ذاك ضل وأضل.

فالكيّس من نظر إلى نفسه من خلال العلماء النصحاء؛ لأنهم المرآة التي تجلي حاله، على حد قول القائل:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشورات

---

[1] . رواه البخاري، رقم: 5219، ومسلم، رقم: 2130.

فالعين تلقى كفاحاً ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

أما إن عزف عن هذا كبرا وترفعا، فهو عين اتباع الهوى، وما أحسن ما دبجه يراع الإمام الشاطبي حين قال: " فَكُلُّ أَحَدٍ عَالِمٌ بِنَفْسِهِ هَلْ بَلَغَ فِي الْعِلْمِ مَبْلَغَ الْمُفْتِينَ أَمْ لَا ؟ وَعَالِمٌ [إِذَا] رَاجَعَ النَّظَرَ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ: هَلْ هُوَ قَائِلٌ بِعِلْمٍ وَاضِحٍ مِنْ غَيْرِ إِشْكَالٍ أَمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ أَمْ هُوَ عَلَى شَكٍّ فِيهِ ؟ **وَالْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَشْهَدْ لَهُ الْعُلَمَاءُ فَهُوَ فِي الْحُكْمِ بَاقٍ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ حَتَّى يَشْهَدَ فِيهِ غَيْرُهُ وَيَعْلَمَ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ مَا شَهِدَ لَهُ بِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ أَوْ عَلَى شَكٍّ، فَاخْتِيَارُ الْإِقْدَامِ فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ عَلَى الْإِحْجَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى**؛ إِذْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَفْتِيَ فِي نَفْسِهِ غَيْرَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يُقَدَّمَ إِلَّا أَنْ يُقَدِّمَهُ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا .

قَالَ الْعُقَلَاءُ : رَأْيُ الْمُسْتَشَارِ أَنْفَعُ لِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْهَوَى ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُسْتَشَرْ فَإِنَّهُ غَيْرُ بَرِيءٍ ، وَلَاسِيَّمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ وَالرُّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ كَرُتَبِ الْعِلْمِ .

فَهَذَا أُنْمُوذَجٌ يُنَبِّهُ صَاحِبَ الْهَوَى فِي هَوَاهُ وَيَضْبِطُهُ إِلَى أَصْلٍ يَعْرِفُ بِهِ ؛ هَلْ هُوَ فِي تَصَدُّرِهِ إِلَى فَتْوَى النَّاسِ مُتَّبِعٌ لِلْهَوَى ، أَمْ هُوَ مُتَّبِعٌ لِلشَّرْعِ ؟ ".[1]

هذا، وإذا التبس على المرء حال الرجل فليعتبر أقواله بكلام العلماء الراسخين، فإن كثرت موافقته لهم فهو عالم، وإن كثر شذوذه فهو دليل على جهله وانحرافه.

وقد حكى الإمام ابن عبد البر عن بعض أهل العلم قوله : " لا يسلم العالم من الخطأ، فمن أخطأ قليلا وأصاب كثيرا فهو عالم، ومن أصاب قليلا وأخطأ كثيرا فهو جاهل ".[2]

وقال عبد الرحمن بن مهدي: " لا يكون إماما في العلم من أخذ بالشاذ من العلم ... ".[3]

وهذا الميزان الدقيق هو الذي اعتمده المحدثون في قبول الرواية، يقول الإمام مسلم : " وَعَلاَمَةُ الْمُنْكَرِ فِي حَدِيثِ الْمُحَدِّثِ **إِذَا مَا عُرِضَتْ رِوَايَتُهُ لِلْحَدِيثِ عَلَى رِوَايَةِ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْحِفْظِ وَالرِّضَا خَالَفَتْ رِوَايَتُهُ رِوَايَتَهُمْ أَوْ لَمْ تَكَدْ تُوَافِقُهَا فَإِذَا كَانَ الأَغْلَبُ مِنْ حَدِيثِهِ كَذَلِكَ كَانَ مَهْجُورَ الْحَدِيثِ غَيْرَ مَقْبُولِهِ وَلاَ مُسْتَعْمَلِهِ** .... فَلَسْنَا نُعَرِّجُ عَلَى حَدِيثِهِمْ وَلاَ نَتَشَاغَلُ بِهِ لأَنَّ حُكْمَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِي نَعْرِفُ مِنْ مَذْهَبِهِمْ فِي قَبُولِ مَا يَتَفَرَّدُ بِهِ الْمُحَدِّثُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ قَدْ

---

[1] . الاعتصام (242/2).

[2] . جامع بيان العلم (103/2).

[3] . انظر: جامع بيان العلم (103/2).

شَارَكَ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ فِي بَعْضِ مَا رَوَوْا **وَأَمْعَنَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُوَافَقَةِ لَهُمْ** فَإِذَا وُجِدَ كَذَلِكَ ثُمَّ زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا لَيْسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ قُبِلَتْ زِيَادَتُهُ فَأَمَّا مَنْ تَرَاهُ يَعْمِدُ لِمِثْلِ الزُّهْرِيِّ فِي جَلاَلَتِهِ وَكَثْرَةِ أَصْحَابِهِ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ لِحَدِيثِهِ وَحَدِيثِ غَيْرِهِ أَوْ لِمِثْلِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَحَدِيثُهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَبْسُوطٌ مُشْتَرَكٌ قَدْ نَقَلَ أَصْحَابُهُمَا عَنْهُمَا حَدِيثَهُمَا عَلَى الاِتِّفَاقِ مِنْهُمْ فِي أَكْثَرِهِ فَيَرْوِى عَنْهُمَا أَوْ عَنْ أَحَدِهِمَا الْعَدَدَ مِنَ الْحَدِيثِ مِمَّا لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِمَا وَلَيْسَ مِمَّنْ قَدْ شَارَكَهُمْ فِي الصَّحِيحِ مِمَّا عِنْدَهُمْ فَغَيْرُ جَائِزٍ قَبُولُ حَدِيثِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ".[1]

وقد سألت مرة أحد المشايخ الفضلاء عما يرمى به الترمذي من التساهل في تحسين الحديث، فدلني على طريقة في بيان القول الراجح، وهي عرض تحسينه على من هم أقعد منه بالحديث أو من هم في درجته من العلم، فإن كثرت موافقته لهم فليس بمتساهل، وإن كثرت المخالفة فهو دليل تساهله.

ثانيا: انتفاء العدالة لا ينفي العلم عن صاحبه:

العدالة وصف يحمل صاحبه على التحلي بمكارم الأخلاق فيحجزه عن مواقعة الكبائر والإصرار على الصغائر مع تنزهه عما يخل بمروءته.

وإذا كانت العدالة مشروطة في حق من يشهد في دينار أو درهم أو في نكاح أو طلاق؛ فما بالك بمنصب الموقع عن الله ﷻ، الذي شرفه الله ﷻ فألحقه بجملة العلماء الذين أكرمهم بالشهادة على وحدانيته، بل وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وأعظم به من تكريم.

وذلك قوله ﷻ: {**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** }آل عمران18.

غير أن العلم في حد ذاته وسيلة لا غاية، فالمحمود منه ما دل على الله، وساق صاحبه إلى خشيته، وهؤلاء هم العلماء على الحقيقة، كما دل عليه قول الله ﷻ: { **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** }فاطر28.

قال التابعي الجليل مسروق: " كفى بالمرء علما أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعمله ".[2]

---

[1] . مقدمة الإمام مسلم على صحيحه ضمن شرح النووي على مسلم (219/1).

[2] . انظر: سير أعلام النبلاء (168/4).

وقد درج بعض الناس على نفي العلم عمن قُدح في عدالته، في حين أن النصوص الشرعية تدل على أن انخرام وصف العدالة لا ينفي عن العالم تلبسه بصفة العلم، وهو ما قرره الله ﷻ في قوله: {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** }الأعراف176، 175 .

فانظر كيف أثبت الله له العلم بآياته، رغم ذمه له من جهة ترك العمل بها، وطلبه الدنيا بعمل الآخرة، نعوذ بالله من الخذلان.

وقال الله ﷻ في شأن اليهود: { **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** }الجمعة 5.

فقد منَّ الله على اليهود بالتوراة وشرفهم بالتكليف بها علما وعملا، فعلموا وما عملوا واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، فضرب لهم الله ﷻ هذا المثل تقبيحا لصنعهم، فشبههم بالحمار الذي يحمل كتب العلم على ظهره من غير أن ينتفع بها، وهذا قمة الحمق والبلادة.

ولله در من قال:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وتنكبهم هذا عن العمل أوردهم المهالك، وأوجب غضب الله ﷻ عليهم؛ فسماهم الحق ﷻ مغضوبا عليهم في سورة الفاتحة، وتدبر معي كيف وردت حكاية غضبه عليهم بصيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبوت.

وقد استشف الإمام الوَرِعُ سفيان الثوري هذا المعنى؛ فقال: " **من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبه من النصارى** ".[1]

[1] . انظر: تفسير ابن كثير (461/2).

ومع هذا فانظر كيف تعامل النبي ﷺ معهم ؟؛ جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ** ".[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا الْآيَةَ ﴾** [البقرة: 136] ".[2]

وعن أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه قال: بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، فقال : يا محمد هل تكلم هذه الجنازة ؟؛ فقال رسول الله ﷺ: " **الله أعلم** " ، فقال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم؛ فقال رسول الله ﷺ : " **ما حدَّثَكم أهلُ الكتابِ فلا تُكَذِّبوهم ولا تُصَدِّقُوهم ، وقولوا: آمنا باللهِ ورسلِهِ وكتبِهِ ، فإن كان حقا لم تكذبوا ، وإن كان باطلا لم تصَدِّقُوا** ".[3]

فهذه النصوص وإن ظهر فيها نوع تعارض، لكنه ينتفي بتنزيل الأحاديث على حالات مختلفة؛ فما ورد عندهم موافقا لشريعتنا وجب علينا تصديقه؛ لأن شرعنا قد صدقه، وشُرع التحدث به ولا حرج.

أما ما ورد مخالفا لشريعتنا فنرده ولا كرامة؛ لأن تصديقه مخالف لشرعنا، وما ورد عنهم مما لا يخالف شريعتنا، فلا نصدقهم فيه ولا نكذبه، لاحتمال صدقيته.

يقول الحافظ ابن حجر تعليقا على حديث أبي هريرة السابق: " ... أي إذا كان ما يخبرونكم به **محتملا** لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج.

ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفائه، نبه على ذلك الشافعي . رحمه الله . ".[4]

وقال ابن كثير في مقدمة تفسيره عقب ذكره لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما السابق: " ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد؛ فإنها على ثلاثة أقسام:

---

[1] . رواه البخاري، رقم: 3461.

[2] . رواه البخاري، رقم: 4485.

[3] . رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: 874.

[4] . فتح الباري (170/8).

أحدها: ما علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبَه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمِنُ به ولا نكذّبه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدّم، وغالبُ ذلك مما لا فائدة فيه تعودُ إلى أمرٍ دينيّ ....".[1]

هذا، ولا يكدر على ما ذكرته قول الله ﷻ: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً**﴾.الكهف22.

فقد أفادت الآية تحريم استفتاء أهل الكتاب، وهو ما فهمه القرطبي؛ فقال: " وفى هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم ".[2]

فمحل النهي هو تحريم ابتداء سؤالهم؛ لأن الله ﷻ أغنى نبيه ﷺ عنهم بالقرآن، أما ما بلغه منهم من علم من غير سؤال فحكمه على التفصيل السابق.

بل قد ورد طلب سؤالهم في معرض كشف كتمانهم لبعض ما ورد في الكتب السابقة، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [آل عمران: 93].

فقد ادعت بنو إسرائيل أنَّ في شريعة إبراهيم ﷺ تحريمَ لحوم الإبل وألبانها، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يتحداهم بتلاوة التوراة؛ التي لم يرد فيها ذكر التحريم، وإنما ورد حصول الامتناع من أكلها من يعقوب ﷺ لنذر نذره على نفسه، ولم يكن تحريما منه لها، ثم توارد بنوه على موافقته، ثم ادعت اليهودُ التحريمَ شريعةً لإبراهيم ﷺ، وأن التوراة قد جاءت به !.

ويؤيد مشروعية سؤالهم بقصد بيان كتمانهم الحق ما جاء في حديث الرجم الذي ورد عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ؛ فَقَالَ: **مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى ؟** قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا وَنُحَمِّلُهُمَا وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا وَيُطَافُ بِهِمَا.

قَالَ **فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**؛ فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا وَرَاءَهَا؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ مَعَ

---

[1] . تفسير ابن كثير (20/1).

[2] . الجامع لأحكام القرآن (384/10).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا؛ فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنْ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ .[1]

وأبلغ منه قول الله تعالى: ﴿ **فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾. يونس: 94.

فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الخطاب وإن توجه إلى الرسول ﷺ فالمراد به غيره من الشاكين، حيث أمروا بالتوجه بالسؤال إلى أهل الإيمان منهم.[2]

وزبدة القول أن منهج الإسلام هو قبول الحق بغض النظر عن قائله، وأن العالم الفاجر لا يبتدأ سؤاله، كما لا يرد الحق الوارد على لسانه، ولا نجعل من فجوره مانعا من الاستفادة من علمه، فنجني علمه ويبوء هو بإثمه . والعياذ بالله . ؛ لأنه كالشمعة التي أضاءت لغيرها وأحرقت نفسها، وكالإبرة التي تكسو غيرها وهي عريانة، فدخل بذلك في زمرة السفهاء.

والمتأمل في هذا المنهج يجد أنه منهج عباد الرحمن الذين أثنى الله عليهم بقوله: {**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً** } [الفرقان: 73].

فعباد الرحمن يقبلون التذكرة غاضين الطرف عن قائلها، دل على هذا صيغة فعل (**ذُكروا**) المبني للمجهول، يقول الإمام البقاعي: " {**إذا ذكروا** } أي ذكرهم غيرهم كائناً من كان؛ لأنهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله ".[3]

ويقول الإمام ابن باديس: " عبر بإذا؛ لأن التذكير مما هو واقع محقق، كالذي يسمع من القرآن في الصلاة ومن الخطب في الجمع، وبنى الفاعل للنائب؛ **لأن التذكير بالآيات يجب قبوله من أي مذكر كان** ".[4]

كما أن هذا هو خلق أولى الألباب الذين قال الله ﷻ فيهم: {**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** }[الزمر: 18].

---

[1] . رواه البخاري، رقم: 3665، ومسلم، رقم: 1699، واللفظ لمسلم.

[2] . انظر: زاد المسير (350/2).

[3] . نظم الدرر (430/13).

[4] . مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (162/2).

فهم يستمعون إلى القول من كل أحد، فيأخذون ما صفا ويتركون ما كدر، ويغنمون ما ينفع ويتركون ما يضر، فمن كمال لبهم أنهم يميزون بين الغث والسمين، وبين الخرز والدر الثمين، ولا يردون الصواب لاقترانه بالخطأ.[1]

ودونك نموذجين لما ذكرته، فهذا الإمام الشعبي كان يختلف إلى الحارث الأعور رغم أنه قال فيه: " حدثني الحارث الأعور الهمداني، وكان كذابا ".[2]

وقال مجالد: " قيل للشعبي: كنت تختلف إلى الحارث؛ قال: **نعم اختلف إليه أتعلم منه الحساب، كان أحسب الناس** ".[3]

وقد شهد الإمام أحمد للشاذكوني بالحفظ رغم أنه متهم بالكذب في الحديث، حيث قال: " كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين، وأحفظنا للأبواب سليمان الشاذكوني، وكان علي بن المديني أحفظنا للطوال ".[4]

بل لم يمنعه ذلك من اقتباس العلم منه، كما حكاه عمرو الناقد، فقال: " قدم سليمان الشاذكوني بغداد، فقال لي أحمد بن حنبل: اذهب بنا إليه نتعلم منه نقد الرجال ".[5]

وإذا كان هذا سلوكهم مع من غلب عليه الوصف بالفجور فيما ظهر لهم، ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ ؛ فما ظنك بمن حصلت منه الغلطة والغلطتان، والزلة والزلتان ؟!، فلا جرم أنه أولى الناس بالملازمة والانتفاع بعلمه؛ لأنَّ كلَّ بني آدم خطاء.

---

[1] . هذا على أن المراد بالقول في الآية هو جنس القول لا كلام الله تعالى، وانظر: زاد المسير (387/4)، التحرير والتنوير (51/24).

[2] . مقدمة الإمام مسلم على صحيحه ضمن شرح النووي على مسلم (254/1).

هذا، وقد كذب إبراهيمُ النخعيُّ الشعبيَّ، وتعقبه ابن عبد البر في تكذيبه كما تعقب الشعبي في تكذيبه للحارث؛ فقال: " معاذ الله أن يكون الشعبي كذابا بل هو إمام جليل، والنخعي مثله جلالة وعلما ودينا، وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني، حدثني الحارث وكان أحد الكذابين، ولم يبن من الحارث كذب، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي رضي الله عنه وتفضيله له على غيره، ومن ها هنا والله أعلم كذبه الشعبي؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وإلى أنه أول من أسلم، وتفضيل عمر رضي الله عنه ". جامع بيان العلم وفضله (298/2).

قال الذهبي: " فأما قول الشعبي: الحارث كذاب، فمحمول على أنه عنى بالكذب الخطأ لا التعمد، وإلا فلماذا يروي عنه ويعتقده بتعمد الكذب في الدين ؟!". سير أعلام النبلاء (153/4).

قلت: ممن كذبه علي بن المديني وأبو خيثمة كما نقله الذهبي نفسه في السير (153/4).

[3] . انظر: تهذيب التهذيب (332/1)

[4] . انظر: سير أعلام النبلاء (679/10).

[5] . انظر: سير أعلام النبلاء (679/10).

وهو ما أرشد إليه أحد أعلام الصحابة وهو معاذ بن جبل، فيما يرويه أحد أصحابه وهو يَزِيد بْن عُمَيْرَةَ حيث قَالَ: كَانَ . أي معاذ . لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: اللَّهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ؛ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: " إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ.

وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ.

قَالَ قُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ ؟

قَالَ: **بَلَى اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا** ".[1]

فتأمل كيف بين أنَّ الحكيم قد يزل، ومع هذا فقد أرشد إلى تنكب زلته، وأن لا يجعل منها حائلا يصده عن الانتفاع بعلمه.

وهذا ما أرشد إليه أيضا أحد كبار التابعين وهو سعيد بن المسيب فقيه أهل المدينة، حين قال: " ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله ".[2]

وقال غيره : " لا يسلم العالم من الخطأ؛ فمن أخطأ قليلا وأصاب كثيرا فهو عالم، ومن أصاب قليلا وأخطأ كثيرا فهو جاهل ".[3]

ومن أجل هذا توارد العلماء على نصح طالب العلم بأن يظفر بالعلم وألا ينظر إلى سوء الفعل؛ فقال بلال بن أبي بردة: " لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا".[4]

---

[1] . رواه أبو داود، رقم: 4611، وصححه الألباني.

[2] . جامع بيان العلم (103/2).

[3] . جامع بيان العلم (102/2).

[4] . جامع بيان العلم (258/2).

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي # ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري .[1]

وما أحسن عبارة ابن القيم: " ... ولكن من قواعد الشرع والحكمة أيضا أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر؛ فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفي عنه ما لا يعفي عن غيره؛ فإن المعصية خبث و**الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث**،[2] بخلاف الماء القليل فإنه [يحمل] أدنى خبث ... ".[3]

وإذا كان هذا حال الواقع في معصية من غير تأويل، فما بالك بمن واقعها بنوع تأويل ؟، فلا ريب أنه أولى بالعذر؛ لأن التأويل مانع من لحوق وصف الفسق به.

قال إمام أهل السنة يزيد بن هارون: " قدم عكرمة البصرة، فأتاه أيوب وسليمان التيمي ويونس، فبينا هو يحدثهم إذ سمع صوت غناء، فقال: أمسكوا، ثم قال: قاتله الله، لقد أجاد.

فأما سليمان ويونس، فما عادا إليه، وعاد إليه أيوب، **فأحسن أيوب** ".[4]

فانظر كيف صوب يزيد عمل أيوب، مع جلالة يزيد ومكانته،[5] وبين خطأ سليمان ويونس حين انحرفا عن عكرمة لزلَّة بدرت منه، يمكن أن يجدا لها ألف تأويل.

ثالثا : الابتداع لا ينفي العلم عن صاحبه:

من بوادر الخير في الصحوة الإسلامية أن جلَّ تياراتها تتفق على أصل اتباع السنة، ونبذ البدعة، بيد أن التأصيل شيء والواقع شيء آخر، فقد ضاع الحق بين الإفراط والتفريط؛ ونجم عن غلو بعض الجماعات في قمع ما يرونه بدعة أن نفوا العلم عمَّن تحمله بداعي ابتداعه في الدين، وهذا الكلام وإن كان فيه حظ من الحق إلا أن لأهل الشهوات الخفية أوفر نصيب، وخاصة مع الاضطراب الكبير في تحرير معنى البدعة وضابط المبتدع.

---

[1] . جامع بيان العلم (258/2).

[2] . رواه أبو داود، رقم: 63، والترمذي، رقم: 67، والنسائي، رقم: 52، وابن ماجه، رقم: 517، كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا، وصححه الألباني.

[3] . مفتاح دار السعادة (529/1).

[4] . سير أعلام النبلاء (27/5)

[5] . يزيد بن هارون إمام هدى وقى الله به هذه الأمةَ من البدعةِ ردحا من الزمن، قال يحيى بن أكثم: " قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون، لأظهرت القرآن مخلوق، فقيل: ومن يزيد حتى يتقى ؟ فقال: ويحك إني لأرتضيه لا أن له سلطنة، ولكن أخاف إن أظهرته، فيرد علي، فيختلف الناس، وتكون فتنة ". سير أعلام النبلاء (362/9)

هذا الخلط الكبير جعله فئام من الناس مطية إلى القتل المعنوي لكثير من أهل العلم بدعوى منابذة البدعة وإطفاء شرها، فضيعت الأمة بهذا السلوك الأهوج علما كثيرا وخيرا غزيرا.

والأدهى من هذا أن بعض هؤلاء يتلفع بلحاف اتباع السلف، والسلف من هذا المذهب براء، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية الخبير بمذهب السلف يقول في معرض حديثه عن ذم علم الكلام وأهله : " ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم **رحمتهم وترفقت بهم**.

أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا [علوما وما أعطوا فهوما] وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة { **فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون** }الأحقاف: 26 ".[1]

فأنت ترى أنه أثبت لهم العلم مع حكمه عليهم بالانحراف، فثبوت العلم شيء والتوفيق إلى الحق شيء آخر.

ولك أن تراجع كلام الإمام الذهبي في سيره عن بعض العلماء الذين تلبسوا ببدعة، فإنه يثبت لهم العلم مع تخطئتهم فيما خالفوا الحق فيه.

فقد قال في عمران بن حطان : "عمران بن حطان بن ظبيان، السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج ".[2]

وقال في الحسن بن صالح: " هو من أئمة الإسلام، لولا تلبسه ببدعة ".[3]

---

[1] . مجموعة الفتاوى (78/5).

في الأصل تقديم الفهم على العلم، وهو خطأ مطبعي؛ لأن مرتبة الفهم أرفع من مرتبة العلم، فالفهم يستلزم العلم ولا عكس، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يدل عليه قول الله ﷻ: {**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** }الأنبياء: 79.

وقد بوب الإمام البخاري: (باب الفهم في العلم) وساق تحته حديث تشبيه المؤمن بالنخلة.

والدليل على كونه خطأ مطبعيا أن ابن تيمية نفسه نص على هذا في مواضع من المجموع منها تعليقه على حديث أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: **هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟**، قَالَ: **لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ**، قَالَ: قُلْتُ: **فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ**، قَالَ: **الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ**. رواه البخاري، رقم: 111.

قال ابن تيمية: " فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الأمة والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى {**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ** ...الآية }الأنبياء: 79". المجموع (13/ 164) وانظر أيضا (125/20) (169/20).

[2] . سير أعلام النبلاء (214/4).

[3] . سير أعلام النبلاء (361/7).

وقد نقل كلام جرير بن عبد الحميد الضبي حين قال: " رأيت ابن أبي نجيح، ولم أكتب عنه شيئا، ورأيت جابرا الجعفي، فلم أكتب عنه شيئا، ورأيت ابن جريج، ولم أكتب عنه، فقال له رجل: ضيعت يا أبا عبد الله !.

قال: لا، أما جابر، فكان يؤمن بالرجعة، وأما ابن أبي نجيح، فكان يرى القدر، وأما ابن جريج، فإنه أوصى بنيه بستين امرأة، وقال: لا تزوجوا بهن، فإنهن أمهاتكم، كان يرى المتعة ".[1]

فعلق عليه الذهبي بقوله: " قلت: أما امتناعه من الجعفي، فمعذور؛ لأنه كان مبتدعا، **ولم يكن بالثقة.**

وأما الآخران، ففرط فيهما، **وهما من أئمة العلم، وإن غلطا في اجتهادهما** ".[2]

ومفهوم كلامه أن الجعفي لو كان ثقة للزمه الأخذ منه، وهذا غاية الإنصاف.

هذا، والناظر في منهج المحدثين يلحظ أنهم راعوا هذا الجانب، فألفيناهم يثبتون العلم بالحديث للرجل بغض النظر عن ابتداعه في الدين، بل ويروون الحديث عنه، مراعاة منهم لمصلحة حفظ الدين؛ لأنه قد تقرر عندهم أن إهمال مروياتهم فيه تضييع لكثير من الأحاديث التي جاءت من طريقهم.

فقد روى البخاري لعمران بن حطان، وهو خارجي جلد، وهو الذي امتدح قاتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ، فقال . وبئس ما قال .:

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم * لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا.[3]

وقد روى الستة لعكرمة مولى ابن عباس رغم أنه رمي بالبدعة، وخالفهم الإمام مالك، يقول يحيى بن معين: " إنما لم يذكر مالك عكرمة . يعني في الموطأ . قال: لأن عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية ".[4]

---

[1] . سير أعلام النبلاء (11/9)، وانظر أيضا سير أعلام النبلاء (535/10).

[2] . سير أعلام النبلاء (11/9)، وانظر أيضا سير أعلام النبلاء (535/10).

وقال ابن حجر: " وَقَدْ نَقَلَ أَبُو عَوَانَة فِي صَحِيحه عَنْ اِبْن جُرَيْجٍ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْهَا بَعْد أَنْ رَوَى بِالْبَصْرَةِ فِي إِبَاحَتهَا ثَمَانِيَة عَشَر حَدِيثًا ".الفتح (173/9).

[3] . سير أعلام النبلاء (215/4).

[4] . سير أعلام النبلاء (26/5).

وقال الذهبي: " قال معن وغيره: كان مالك لا يرى عكرمة ثقة، ويأمر أن لا يؤخذ عنه.

قال يحيى بن معين: كان مالك يكره عكرمة، قيل: فقد روى عن رجل عنه، قال: شيء يسير.

وقال ابن المديني: لم يسم مالك عكرمة في شيء من كتبه إلا في حديث ثور، عن عكرمة، عن ابن عباس في الذي يصيب أهله وهو محرم، قال: يصوم ويهدي وكأنه ذهب إلى أنه يرى رأي الخوارج.

وكان يقول في كتبه: رجل.

وروى الربيع عن الشافعي قال: ومالك سيئ الرأي في عكرمة، قال: لا أرى لأحد أن يقبل حديثه".[1]

ووافق مالكا ابنُ سيرين ويحي بن سعيد ومسلم؛ قال خالد الحذاء: "كل ما قال محمد بن سيرين نبئت عن ابن عباس، فإنما رواه عن عكرمة، قيل: ما شأنه ؟

قال: كان يرى رأي الخوارج، رأي الصفرية، ولم يدع موضعا إلا خرج إليه: خراسان والشام واليمن ومصر وإفريقية.

قال أحمد: وإنما أخذ أهل إفريقية رأي الصفرية من عكرمة لما قدم عليهم، وكان يأتي الأمراء يطلب جوائزهم ".[2]

وقال ابن أبي حاتم : " سألت أبي عنه فقال: ثقة، قلت: يحتج بحديثه ؟ قال: نعم إذا روى عنه الثقات، والذي أنكر عليه يحيى بن سعيد ومالك، **فلسبب رأيه** ".[3]

---

[1]. سير أعلام النبلاء (21/5).

قال الحافظ ابن حجر وهو يرد عن عكرمة ما ألصق به: "لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، وإنما كان يوافق في بعض المسائل، فنسبوه إليهم، وقد برأه أحمد والعجلي من ذلك، فقال في كتاب " الثقات " له: عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما مكي تابعي ثقة برئ مما يرميه الناس به من الحرورية.

وقال ابن جرير: **ولو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعي به وسقطت عدالته، وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه** ". هدي الساري، ص 427.

[2]. سير أعلام النبلاء (30/5).

[3]. سير أعلام النبلاء (32/5).

قال الحافظ ابن عدي في الكامل: " وعكرمة لم أخرج هنا من حديثه شيئا؛ لأن الثقات إذا رووا عنه، فهو مستقيم الحديث إلا أن يروي عنه ضعيف، فيكون قد أتي من قبل الضعيف، لا من قبله، ولم يمتنع الأئمة من الرواية عنه، وأصحاب الصحاح أدخلوا أحاديثه إذا روى عنه ثقة في صحاحهم، وهو أشهر من أن أحتاج أن أخرج له شيئا من حديثه، وهو لا بأس به.

وقال أبو أحمد الحاكم: احتج بحديثه الأئمة القدماء، لكن بعض المتأخرين أخرج حديثه من حيز الصحاح.

قلت ـ أي الذهبي ـ: ما علمت مسلما أخرج له سوى حديث واحد، لكنه مقرون بآخر، فروى لابن جريج عن أبي الزبير عن عكرمة وطاووس عن ابن عباس في حج ضباعة [1] ".[2]

والحاصل أن الراجح في عكرمة قبول روايته؛ لأنَّ من ردَّها فبسبب رأيه لا لضعفه، كما يقوي هذا أن الذين ردوا روايته أقل عددا من الذين قبلوها، وهم في جلالة العلم متقاربون.

ومن الشواهد على الرواية عن المبتدعة رواية مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم لأبي حسان الأعرج، وقد رمي برأي الخوارج، قال أبو داود: " ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسان الأعرج ".[3]

كما أنهم رووا عن بعض من تلبس بالتشيع، فقد روى الستة لإسحاق بن منصور السلولي وفيه تشيع.[4]

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي الهيثم خالد بن مخلد القطواني، الذي قال فيه ابن سعد: " كان متشيعا منكر الحديث مفرطا في التشيع **وكتبوا عنه للضرورة** ".[5]

ولله در الذهبي حين أجمل الكلام في المسألة؛ فقال: " هذه مسألة كبيرة، وهي: القدري والمعتزلي والجهمي والرافضي، **إذا علم صدقه في الحديث وتقواه، ولم يكن داعيا إلى بدعته،** فالذي عليه أكثر العلماء قبول روايته، والعمل بحديثه، وترددوا في الداعية، هل يؤخذ عنه ؟

---

[1] . هي ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: " إني امرأة ثقيلة، وإني أريد الحج فما تأمرني ؟ قال: **أهلي بالحج واشترطي أن محلي حيث تحبسني،** قال: فأدركت ". رواه مسلم، رقم: 1208.

[2] . سير أعلام النبلاء (32/5)

[3] . سير أعلام النبلاء (214/4).

[4] . انظر: تهذيب التهذيب (128/1).

[5] . انظر: تهذيب التهذيب (532/1).

فذهب كثير من الحفاظ إلى تجنب حديثه، وهجرانه، وقال بعضهم: إذا علمنا صدقه، وكان داعية، **ووجدنا عنده سنة تفرد بها، فكيف يسوغ لنا ترك تلك السنة ؟**

فجميع تصرفات أئمة الحديث تؤذن بأن المبتدع إذا لم تبح بدعته خروجه من دائرة الإسلام، ولم تبح دمه، فإن قبول ما رواه سائغ.

وهذه المسألة لم تتبرهن لي كما ينبغي، والذي اتضح لي منها أن من دخل في بدعة، ولم يعد من رؤوسها، ولا أمعن فيها، يقبل حديثه كما مثل الحافظ أبو زكريا بأولئك المذكورين، وحديثهم في كتب الإسلام لصدقهم وحفظهم ".[1]

وزبدة القول أنه لا تنفى صفة العلم عن المبتدع، ناهيك أن يكون ذلك سببا في البغي عليه أو حرمان الأمة مما صح من علمه، وخاصة إذا لم تحصل هذه المصلحة إلا من جهته.

وهنا أستحضر موقفين عظيمين في تاريخ هذه الأمة، يتجلى فيهما منهج التعامل مع علم المبتدع إذا كان في ذلك تحقيق للمقاصد الكبرى من الدين.

أولهما موقف شيخ الإسلام ابن تيمية مع خصومه . وفيهم بعض المبتدعة . حين أراد السلطان أن يستصدر من ابن تيمية فتوى في إباحة دمهم؛ لأنهم سعوا في خلعه، مستغلا مخالفتهم لابن تيمية وسعيهم السابق في سجنه وقتله؛ فذب عنهم أمام السلطان، وبين له فضلهم على مملكته، وأن في قتلهم فوات كثير من العلم الذي يحملونه في صدورهم.

يقول ابن كثير: "... وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي كان جالسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضا، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، . **وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير** ..

ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء، وقال له: **إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم**، فقال له: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارا.

فقال الشيخ: **من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله ﷺ فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي**، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح.

---

[1] . الذهبي: سير أعلام النبلاء (154/7).

قال وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه؛ فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا، ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره ".[1]

والموقف الثاني موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائرية مع الطرق الصوفية في منطقة القبائل إبان الاحتلال الفرنسي، حيث أراد الصليبيون أن يجعلوها نقطة ارتكاز لتنصير الأمة الجزائرية، فخاب فألهم وأفسد الله سعيهم.

وكان الفضل لله ﷻ ثم الفضل لحكمة علماء الجمعية الذين أصدروا أمرا إلى أعضاء الجمعية بترك مناوشة المتصوفة هنالك، فدفعوا مفسدة الردة ببدعة الطرقية،[2] التي حافظت على الإسلام الوراثي في تلك المنطقة.

---

[1] . البداية والنهاية (94/18).

[2] . انظر: مذكرات الشيخ محمد خير الدين (338/1).

تنبيه: أسيل في معنى الصوفية حبر كثير، والناس في ذلك بين إفراط وتفريط؛ فمنهم من نزَّههم عن كل مخالفة، ومنهم من جعلهم مستودع كل بدعة، ويعجبني رأي شيخ الإسلام ابن تيمية حين أنصفهم؛ فقال: " وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهَذَا الِاسْمِ قَوْمٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهِ أَبُو سُلَيْمَانَ الداراني وَغَيْرُهُ، وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَالْمَنْقُولُ عَنْهُ ذَمُّ الصُّوفِيَّةِ وَكَذَلِكَ مَالِكٌ – فِيمَا أَظُنُّ – وَقَدْ خَاطَبَ بِهِ أَحْمَد لِأَبِي حَمْزَةَ الْخُرَاسَانِيِّ وَلِيُوسُفَ بْنِ الْحُسَيْنِ الرازي وَلِبَدْرِ بْنِ أَبِي بَدْرٍ المغازلي، وَقَدْ ذَمَّ طَرِيقَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَمِنْ الْعُبَّادِ أَيْضًا مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْعُبَّادِ وَمَدَحَهُ آخَرُونَ، **والتَّحْقِيقُ فِيهِ: أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ وَالْمَذْمُومِ كَغَيْرِهِ مِنْ الطَّرِيقِ، وَأَنَّ الْمَذْمُومَ مِنْهُ قَدْ يَكُونُ اجْتِهَادِيًّا وَقَدْ لَا يَكُونُ، وَأَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْفُقَهَاءِ فِي " الرَّأْيِ "** فَإِنَّهُ قَدْ ذَمَّ الرَّأْيَ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ و " الْقَاعِدَةُ " الَّتِي قَدَّمْتهَا تَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ **وَفِي الْمُتَسَمِّينَ بِذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَصَفْوَتِهِ وَخِيَارِ عِبَادِهِ مَا لَا يُحْصَى عَدُّهُ** كَمَا فِي أَهْلِ الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إلَّا اللَّهُ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ ". مجموعة الفتاوى (214/10).

هذا، وإذا كان ابن تيمية قد أنصف الصوفية فإن كثيرا من الصوفية لم ينصفوه إلا قليلٌ منهم؛ منهم الدكتور البوطي حيث قال: " انظر الجزء العاشر من فتاوى الشيخ ابن تيمية . رحمه الله .، **لتجد قيمة التصوف الحقيقي عند هذا الإمام الجليل،** ولتعلم كم يفتري عليه أولئك الذين يحاولون ترويج باطلهم عن طريق إلصاقه باسمه ". فقه السيرة، ص 62 هامش 1.

ورغم تحفظي من آخر كلامه إلا أنه في حق بعض الناس صحيح؛ فقد اقترن ذكر التصوف عندهم بالشرك والكفر وهذا على إطلاقه غلط ومجانبة للصواب، وتأمل إنصاف رئيس جمعية العلماء الإمام ابن باديس للصوفية حين أقر ما كان حقا عند القوم؛ فقال: " أكثر ما سئلنا عنه بوجه عام هو التصوف والولاية والكرامة والتوسل فكنا نجيب بأن **ما كان من باب تزكية النفس وتقويم الأخلاق والتحقق بالعبادة والإخلاص فيها فهو التصوف المقبول وكلام أئمته فيه ككلام سائر أئمة الإسلام في علوم الإسلام لا بد من بنائه على الدلائل الصحيحة من الكتاب والسنة ولا بد من الرجوع عند التنازع فيه إليهما** وكنت أذكر ما يوافق هذا من كلام أئمة الزهد المتقدمين كالجنيد وأضرابه ... ". آثار ابن باديس (319/4).

وقبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى، ينبغي التنبه إلى ملحوظتين:

الأولى: هو أن التحذير من المبتدع مبني على قاعدة سد الذرائع، ولا يخفى أن ما منع منه سدا للذريعة جاز للمصلحة الراجحة. [1]

والثانية: أن داء التبديع بله التكفير قد شبَّ في الأمة كالنار في الهشيم، وخاصة في عصرنا هذا، وقد زاد من حدته تعدد الجماعات وتباين التوجهات، وغياب فقه الخلاف، فكل فريق يدعى الحق خالصا لنفسه، ويجحد ما كان من حق عند مخالفه.

وهذا يشبه من بعض وجوهه ما حلَّ بأهل الكتاب من قبلنا، وفي هذا يقول شيخ الإسلام: " وقال سبحانه : { **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ** } [البقرة113] فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه.

وأنت تجد كثيرا من المتفقهة، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئا **ولا يعدهم إلا جهالا ضلالا**، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئا، وترى كثيرا من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئا، **بل يرى أن المتمسك بها منقطعا عن الله** وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا.

وإنما الصواب : أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل ". [1]

بل ألفينا الرئيس الثاني للجمعية وهو الإمام الإبراهيمي يبرز انحراف الطرقية عن مبادئ التصوف التي يدَّعونها؛ فيقول: " ... وقد اتسع صدرها بعد أن تعددت مذاهبها، واختلفت مشاربها في القرون الوسطى والأخيرة من تاريخ الإسلام فانضوى تحت لوائها كل ذي دخلة سيئة وعقيدة رديئة **حتى أصبح التصوف حيلة كل محتال، وحلية كل دجال**، وأن هذه الطرق المنتشرة بين المسلمين والتي تربو على المذاهب الفقهية عدًّا، كلها على ما بينها من تباين الأوضاع، واختلاف الطباع، وتنافر الأتباع، **تنتسب إلى هذا التصوف، ولكنه انتساب صوري اسمي، وشتان ما بين الفرع وأصله**.

فمبنى التصوف في أغلب مظاهره– كما أسلفنا– على الانقطاع والزهد في الدنيا، والتجرد والتقشف ورياضة النفس على المشاق وفطمها عن الشهوات.

ومبنى هذه الطرق في ظاهر أمرها وباطنه على حيوانية شرهة لا تقف عند حدّ في التمتع بالشهوات، والانهماك في اللذائذ واحتجاز الأموال من طريق الحرام والحلال، واصطياد الجاه وحب الظهور والاختلاط بأهل الجاه وإيثارهم والتزلف إليهم ". آثار الإبراهيمي (168/1).

وانظر للمزيد: بدعة الطرائق في الإسلام للعلامة العربي التبسي، و صراع بين السنة والبدعة للعلامة أحمد حماني (94/2).

[1] . انظر في تأصيل هذه القاعدة: مجموعة الفتاوى (110/23، 125) (159/29)، إعلام الموقعين (408/3)، زاد المعاد (427/3).

رابعا: لا تشترط الموسوعية في العالم:

درج بعض الناس على اشتراط شرط في العالم ما أنزل الله به من سلطان، وهو اشتراط الموسوعية فيه، يقصدون بذلك استيعابه لكل العلوم الشرعية التي أوصلها بعض العلماء إلى ما يقارب الخمسين علما، وهذا تكليف من غير دليل.

بل واقع السلف يكذبه، فقد وجدنا منهم المحدث النحرير الذي تفوته بعض مبادئ الفقه كالإمام يحيى بن معين.

هذا العلَم الذي قال فيه الإمام أحمد: "**كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين، فليس هو بحديث** ".[2]

ومع هذا فلم يكن بذاك في علم الفقه، يقول الحافظ ابن عبد البر: " ومما نقم على ابن معين وعيب به أيضا قوله في الشافعي : إنه ليس بثقة، وقيل لأحمد بن حنبل: إن يحيى بن معين يتكلم في الشافعي؛ فقال أحمد : ومن أين يعرف يحيى الشافعي هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول الشافعي ؟ أو نحو هذا ومن جهل شيئا عاداه !.

قال أبو عمر ـ رحمه الله ـ : صدق أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ، إن ابن معين كان لا يعرف ما يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ وقد حكي عن ابن معين أنه سئل عن مسألة من التيمم فلم يعرفها.

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، نا قاسم بن أصبغ ، نا أحمد بن زهير قال : سئل يحيى بن معين وأنا حاضر، عن رجل خير امرأته فاختارت نفسها فقال : " سل عن هذا أهل العلم ".[3]

وذكر ابن رجب أنه : " ماتت امرأة لبعض أهل العلم فجاء يحيى بن معين والدورقي فلم يجدوا امرأة تغسلها إلا امرأة حائضا؛ فجاء أحمد بن حنبل وهو جلوس، فقال : ما شأنكم ؟ فقال أهل المرأة : ليس يجد غاسلة إلا امرأة حائضا.

فقال أحمد بن حنبل : أليس تروون عن النبي ﷺ يا عائشة: " **نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَتْ فَقُلْتُ إِنِّي حَائِضٌ فَقَالَ إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ** ".[4]

يجوز أن تغسلها فخجلوا وبقوا ".[5]

---

[1] . اقتضاء الصراط المستقيم (91/1).

[2] . انظر: سير أعلام النبلاء (326/19).

[3] . جامع بيان العلم (308/2).

[4] . رواه مسلم، رقم: 298.

[5] . الذيل على طبقات الحنابلة (297/1).

وهذا نافع بن عبد الرحمن صاحب القراءة السبعية المشهورة، فرغم اشتغاله بالحديث لم يخرج له أصحاب الكتب الستة شيئا من حديثه، وقد لينه الإمام أحمد، فقال: " منكر الحديث "؛ وما قدح هذا في إمامته في القرآن.[1]

وهذا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الذي تفنن في كثير من العلوم العقلية، كان مزجى البضاعة في الحديث كما هو مشهور، بل تُكُلِّم في علمه من جهة النحو، فقد نقل الذهبي عن بعض أهل العلم قوله: " ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو في أثناء كلامه، وروجع فيه، فأنصف، واعترف أنه ما مارسه، واكتفى بما كان يحتاج إليه في كلامه، مع أنه كان يؤلف الخطب، ويشرح الكتب بالعبارة التي يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها ".[2]

وهو ما يؤكده تلميذه ابن العربي حين قال: "... وَإِنَّمَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ أَبُو حَامِدٍ بِجَهْلِهِ بِالصِّنَاعَةِ، أَمَا إنَّهُ كَانَ فَصِيحًا ذَرِبَ الْقَوْلِ، ذَرِبَ اللِّسَانِ فِي الِاسْتِرْسَالِ عَلَى الْكَلِمَاتِ الصَّائِبَةِ، لَكِنَّ الْقَانُونَ كَانَ عَنْهُ نَائِيًا ...". [3]

وقد تبوأ أبو علي بن شاذان منزلة مرموقة في علم الحديث حتى وصفه الذهبي بمسند العراق،[4] ومع هذا فلم يكن له بصر بالعربية، حتى إنه لا يفرق بين الحال والصفة، كما نقل ذلك الباجي عنه في قصة مناظرته الطريفة لبعض علماء الرافضة الذين يثبتون وراثة أهل البيت لمال الرسول ﷺ.

يقول الباجي: " وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبُو جَعْفَرٍ السمناني . شَيْخُنَا . ﷺ: أَنَّ أَبَا عَلِيِّ بْنَ شَاذَانَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّأْنِ **إلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَرَأَ عَرَبِيَّةً**؛ فَنَاظَرَ يَوْمًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعَلِّمِ وَكَانَ إمَامَ الْإِمَامِيَّةِ، **وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ**؛[5] فَاسْتَدَلَّ أَبُو عَلِيِّ بْنُ شَاذَانَ

---

[1] . انظر: تهذيب التهذيب (207/4).

[2] . سير أعلام النبلاء (326/19).

[3] . أحكام القرآن (286/2).

[4] . انظر: سير أعلام النبلاء (415/17).

[5] . لاحظ كيف أثبت له العلم رغم بدعته !.

لطيفة: قال الإمام الخطيب البغدادي: " وحدث أن ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له إذ أقبل القاضي أبو بكر الأشعري (أي الباقلاني) فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه وقال لهم: قد جاءكم الشيطان فسمع القاضي كلامهم وكان بعيدا من القوم فلما جلس أقبل على بن المعلم وأصحابه وقال لهم قال الله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً** }مريم83؛ أي إن كنت شيطانا فأنتم كفار وقد أرسلت عليكم ". تاريخ بغداد (365/3).

عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عليهم الصلاة والسلام لَا يُورَثُونَ بِمَا رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " **إنَّا مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً** ".[1]

نُصِبَ عَلَى الْحَالِ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ: مَا ذَكَرْت أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " **إنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** " إنَّمَا هُوَ " **صَدَقَةً** " نُصِبَ عَلَى الْحَالِ فَيَقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّ مَا تَرَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى وَجْهِ الصَّدَقَةِ لَا يُورَثُ عَنْهُ، وَنَحْنُ لَا نَمْنَعُ هَذَا، وَإِنَّمَا نَمْنَعُ ذَلِكَ فِيمَا تَرَكَهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ.

وَاعْتَمَدَ عَلَى هَذِهِ النُّكْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ أَبَا عَلِيِّ بْنَ شَاذَانَ **لَا يَعْرِفُ هَذَا الشَّأْنَ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَالِ وَغَيْرِهَا.**

فَلَمَّا عَادَ الْكَلَامُ إلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ شَاذَانَ قَالَ لَهُ: وَمَا زَعَمْت مِنْ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ **لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** إنَّمَا هُوَ " **صَدَقَةً** " مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَأَنْتَ لَا تَمْنَعُ هَذَا الْحُكْمَ فِيمَا تَرَكَهُ الْأَنْبِيَاءُ صلوات الله عليهم عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، فَأَنَا لَا أَعْلَمُ فَرْقًا بَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ **مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً بِالنَّصْبِ** وَبَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ **مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** بِالرَّفْعِ .

وَلَا أَحْتَاجُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ عِنْدِي وَعِنْدَك أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا مِنْ أَفْصَحِ الْعَرَبِ وَمِنْ أَعْلَمِهِمْ بِالْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ **مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً** بِالنَّصْبِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ **مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** بِالرَّفْعِ ، وَكَذَلِكَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ وَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَسْتَحِقُّ الْمِيرَاثَ لَوْ كَانَ مَوْرُوثًا، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مِنْ أَفْصَحِ قُرَيْشٍ وَأَعْلَمِهِمْ بِذَلِكَ، وَقَدْ طَلَبَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِيرَاثَهَا مِنْ أَبِيهَا ﷺ فَجَاوَبَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِهَذَا اللَّفْظِ عَلَى وَجْهٍ فَهِمَتْ مِنْهُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ لَهَا، فَانْصَرَفَتْ عَنْ الطَّلَبِ وَفَهِمَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ ﷺ وَكَذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ ﷺ وَلَمْ يَعْتَرِضْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِهَذَا الِاعْتِرَاضِ.

وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ الْمُحْتَجُّ بِهِ وَالْمُتَعَلَّقُ بِهِ لَا خِلَافَ أَنَّهُ مِنْ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ الْعَالِمِينَ بِذَلِكَ لَمْ يُورِدْ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ إلَّا بِمَا يَقْتَضِي الْمَنْعَ، وَلَوْ كَانَ اللَّفْظُ لَا يَقْتَضِي الْمَنْعَ لِمَا أَوْرَدَهُ وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالنَّصْبِ يَقْتَضِي مَا يَقُولُهُ فَادِّعَاؤُك فِيمَا قُلْت بَاطِلٌ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الرَّفْعُ هُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ فَهُوَ الْمَرْوِيُّ وَادِّعَاءُ النَّصْبِ فِيهِ بَاطِلٌ – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ – ".[2]

---

[1] . رواه البخاري، رقم: 3093، ومسلم، رقم: 1757، وهو عندهما بلفظ : " **لا نورث ما تركنا صدقة** ".

[2] . المنتقى (500/9).

بل أثر عن بعض العلماء ما هو أعجب من هذا، فقد كان أبو محمد عبد الله بن نافع المعروف بالصائغ من أكابر أصحاب مالك، رغم كونه أميا لا يكتب؛ قال ابن نافع : " صحبت مالكاً أربعين سنة، ما كتبت منه شيئاً، وإنما كان حفظاً أتحفظه".[1]

وقد قيل لمالك: من لهذا الأمر بعدك ؟ فقال: رجل من أصحابي، حتى دخل رجل أعور وهو ابن نافع، وقال: هذا.[2]

ومثله الفقيه أبو حبيب نصر الرومي التونسي، فقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يستعير الكتب، ويجعل لمن يقرأها عليه أجراً؛ فحفظ علماً كثيراً.[3]

بل قد نجد صاحب علم قد تفوته بعض مباحثه، ومن لطيف ما يذكر ما حكاه الفريابي عن نفسه؛ فقال: " رأيت في منامي كأني دخلت كرما فيه أصناف العنب، فأكلت من عنبه كله غير الأبيض، فلم آكل منه شيئا، فقصصتها على سفيان، فقال: تصيب من العلم كله غير الفرائض، فإنها جوهر العلم، كما أن العنب الأبيض جوهر العنب.

فكان الفريابي كذلك، لم يكن يجيد النظر في الفرائض".[4]

والأمثلة في هذا كثيرة لمن أراد الاستقصاء، بيد أنه لا عتب على العالم إذا جهل علما من العلوم، لكن سهام النقد تتوجه إليه إذا فرط في علمه الذي تخصص فيه، وما أحسن ما دبجه يراع الإمام ابن قتيبة حين قال : " ....على أن المنفرد بفن من الفنون لا يعاب بالزلل في غيره، وليس على المحدث عيب أن يزل في الإعراب، ولا على الفقيه أن يزل في الشعر، وإنما يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه إذا احتاج الناس إليه فيه، وانعقدت له الرئاسة به، وقد يجتمع للواحد علوم كثيرة والله يؤتي الفضل من يشاء.

وقد قيل لأبي حنيفة ـ وكان في الفتيا ولطف النظر واحد زمانه ـ : ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيده به؛ فقال: لا ولو رماه بأبا قبيس [هكذا].[5]...

ولا أعلم أحداً من أهل العلم والأدب إلا وقد أسقط في علمه كالأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة وسيبويه والأخفش والكسائي والفراء وأبي عمرو الشيباني وكالأئمة من قراء القرآن والأئمة من

---

[1] . انظر: ترتيب المدارك (129/3).

[2] . انظر: ترتيب المدارك (129/3).

[3] . انظر: ترتيب المدارك (23/6).

[4] . انظر: سير أعلام النبلاء (118/10).

[5] . وكان إلى جانب هذا ضعيفا في الحديث كما ذكره ابن العربي في المسالك (174/6).

المفسرين وقد أخذ الناس على الشعراء في الجاهلية والإسلام الخطأ في المعاني وفي الإعراب وهم أهل اللغة وبهم يقع الاحتجاج ....".[1]

نعم، للعالم المتفنن تميزه، وللمنفرد بالفن الواحد تميزه، ذلك أن المنفرد بفن يتقن فنه بخلاف غيره، ودونك شهادة الإمام المتفنن أبو عبيد القاسم بن سلام حين قال: " ما ناظرت قط رجلا متفننا في العلوم إلا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد من العلم إلا غلبني فيه ".[2]

وقد بين العلامة ابن عاشور أن حرص المتأخرين على المشاركة في كل العلوم قد أثر سلبا على طلبة العلم حتى النبهاء منهم؛ لأن حرصهم على استيعاب كل العلوم أفضى إلى تفويت نبوغهم، وإن تحصل لهم ذلك لم يكن بمنزلة المتخصص.

ودونك نص كلامه حيث يقول . رحمه الله . : " ثم إن الميل إلى المشاركة استفحل في طلبة العلم فأضر العلم بانصراف طلبته عن تحقيق العلوم، حتى إن من يكون في طبعه الميل إلى التحقيق إذا جمع بين التحقيق والمشاركة توزعت مواهبه؛ لأنه يطلب المشاركة والبحث في جميعها، وبالضرورة يقتنع من كل علم بعلالة؛ فأثر ذلك اشتغالهم بتتبع المباحث اللفظية، فوقفت العلوم عن الزيادة والتمحيص ....".[3]

هذا، ولا ينبغي أن يفهم من كلامي واتكائي على هذه المقالات أنني أدعو إلى ترك المشاركة في العلوم، وإنما أقصد نسف النظرية القائلة بأن استيعاب العلوم قيد في مسمى العالم، وأنا مقتف في هذا لرأي الإمام ابن العربي؛ فبعد أن وضع برنامجا للتحصيل العلمي في شتى الفنون؛ ذيله بقوله: "... ولا يقل متى أحصل هذا؟ **فإنه ليس المطلوب منها الغاية، فإنها لا تنالها إلا الأفراد،** وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء جزء منها، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم، فيكون إنسانا في الذي يعلم، بهيمة فيما لا يعلم، ولا سيما من أقام عمره حسَّابا، أو نحويا، فقد هلك، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شيء، فحشد الآلة عمره، ثم مات، قبل عمل صنعته.

ولا يصغ إلى من يقول له: تكن مقصرا في كل علم إذا فعلت هذا، والأولى بك أن تقف نفسك على علم واحد، فإنه قول جاهل بالعلم.

---

[1] . تأويل مختلف الحديث، ص 77 . 78.

[2] . انظر: جامع بيان العلم (257/1).

[3] . أليس الصبح بقريب، ص 43.

إذ أخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه، سيعتمد على ما يراه أوكد، ويجعل الباقي تبعا، **وأنبئكم أني ما رأيت بعيني محيطا بهذه العلوم التي ذكرت لكم، ولا مشاركا فيها إلا واحدا**، فبان أن الإحاطة غير ممكنة، والمشاركة ممكنة، والإحاطة بعلم واحد غير ممكن ... ".[1]

خامسا: نقص الفصاحة في العالم لا تنفي علمه :

الألفاظ قوالب المعاني، واللسان دليل على عقل المرء، غير أن الناس يتفاوتون في منطقهم، فمنهم الفصيح المنطيق، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم العَيِّيُّ الذي لا يفصح عن خوالج نفسه.

ولا تلازم بين الفصاحة والنبوغ العلمي؛ فقد يفوق المفضول فصاحة من هو أفصح منه في العلم، وهو ما ألفيناه في الأنبياء فضلا عن غيرهم.

قال تعالى على لسان موسى: {**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** }القصص34

فموسى عليه السلام أجل علما من أخيه هارون عليه السلام، ومع هذا فقد فاقه أخوه فصاحة، وهو ما تدل عليه صيغة التفضيل (أفصح)، فقد كان موسى عليه السلام لا يبين للثغة في لسانه، وهو ما عيره به فرعون؛ فقال مظهرا فضله عليه فيما يزعم: {**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ** }الزخرف52.

وقد وجدنا في طبقة الصحابة من بزَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في البيان والخطابة كثابت بن قيس رضي الله عنه، ومع هذا فهما أعلم هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ.

دعك من أهل الفضل، فمن المنافقين من تجده ذرب اللسان حسن البيان يفوق بعض أهل الإيمان؛ كما وصفهم الله بقوله :{**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** }. [المنافقون: 4]

ويؤيده ما جاء في حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ** ".[2]

---

[1] . العواصم من القواصم، ص 369.

[2] . رواه أحمد، رقم: 144 عن عمر رضي الله عنه، وابن حبان، رقم: 80، والطبراني في الكبير، رقم: 593 كلاهما عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

إذن؛ فمن الخطأ الجسيم أن يسلب العلم عن العالم لعي في منطقه، بسبب عجمة في لسانه[1] أو عاهة في أصل خلقتة أو ضعف في علمه بالنحو مع تخلف في السليقة، ثم يمنح وسام الفخار على حسابه للخطيب المصقع الذي يهز أعواد المنابر، وإن كان مزجى البضاعة في الفقه والفتوى وسائر العلوم الشرعية.

نعم، الفصاحة مزية في العالم تزيده قبولا عند الناس، وهي وسيلة لها حكم مقصدها، والسعي في تحصيلها مطلوب في حق العالم حتى ينصر الحق الذي يحمله، وليس هذا مقام التأكيد على ضرورتها، ومع هذا فإن انخرمت الفصاحة في العالم؛ فلا يسوغ بحال الزهد في علمه بسبب ذلك، فربما ألفيناه فصيح البيان بقلمه يبلغ به ما لا يبلغ بلسانه.

سادسا: اشتراط الفقه بالواقع في العالم:

مما لا ريب فيه أن الناس أبناء زمانهم، وعجينة واقعهم، وأحق الناس بمعرفة هذا الواقع هو العالم حتى يتسنى له تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والنوازل الحادثة، وقد استحسن أمير البيان شكيب أرسلان تعريفَ بعضِ العلماءِ العالمَ بقوله: ".... هو قبل كل شيء العالم بأحوال عصره ومصره ".[2]

ولعل هذا هو ما قصده الإمام مالك حين قال: " لا يكون الرجل عالما مفتيا حتى يُحْكِم الفرائض والنكاح والطلاق ".[3]

وقد علق ابن العربي عليه بقوله: " إشارة إلى عظم منازل هذه الفصول في الدين، **وعموم وقوعها في المسلمين**، والله يهب لنا ولكم الخلاص برحمته ".[4]

وهذا ما أكده ابن القيم أيضا حين قال: " ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلاّ بنوعين من الفهم؛ **أحدهما: فهم الواقع، والفقه فيه**، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

---

[1] . من نماذج ذلك مكحول فقيه أهل الشام، حيث كان في لسانه عجمة ظاهرة، سأله مرة بعض الأمراء عن القدر، فقال: أساهر أنا، يريد أساحر أنا، وقال لرجل: ما فعلت تلك الحازة، يريد الحاجة. انظر: وفيات الأعيان (281/5).
وقال عطاء فقيه أهل مكة، وهو ابن تسعين سنة: " وددت أني أحسن العربية " . سير أعلام النبلاء (87/5).

[2] . انظر: مقدمة شكيب أرسلان على قواعد التحديث للقاسمي، ص 9.

[3] . انظر: القبس (26/3)

[4] . القبس (26/3)

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع؛ ثمّ يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا.

فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله". [1]

غير أن من العلماء من يجهل واقعه إما لانعزاله عن الناس نأيا بنفسه عن موارد الفتنة فيما يظن، وإما لقصور في شخصيته التي لم تستوعب مجريات وقته، وإما لغير هذا وذاك من الأسباب.

هذا السلوك من بعض أهل العلم أفضى إلى عزوف فئة من العوام عنهم، وحذا بفئام من طلبة العلم إلى اطِّراح علمهم، بله وتنقصهم في كثير من الأحيان، وسلب تحملهم للعلم.

وأحسنهم حالا من نبزهم بعلماء الكتب الصفراء ! أو فقهاء الحيض والنفاس !، لا لشيء إلا لجهلهم بواقعهم، وعجزهم عن التكلم بلغة عصرهم، أو لحاجة في نفس منتقصهم !.

هذا الفهم السقيم كانت له آثاره الوخيمة على الأمة الجزائرية، فقد عبست جمهرة عريضة من الشباب الجزائري إبان بدايات الصحوة الإسلامية في وجوه بعض العلماء الذين تتلمذوا لجمعية العلماء المسلمين أو تخرجوا من الزيتونة أو من الزوايا وغيرها.

وما نقموا منهم إلا جهلهم بواقعهم، وتنكبهم عن الحديث في مسائل السياسة وغيرها، بما يرضي نزواتهم، فلم يكن فقههم حركيا ولا حيويا، فوُصِمُوا بما وصموا به وعزف الناس عن علمهم، ففاتهم بذلك خير كثير.

نعم، جهل العالم بواقعه مما ينقص منزلته، ويهز رتبته، ويمنع الناس من الالتفاف حوله؛ لأن الناس أبناء زمنهم، فمن لا يعايش مشاكلهم، ولا يحيا حياتهم، عُدَّ غريبا عنهم بعيدا عن آمالهم وآلامهم.

ومع هذا، فقد كان حقيقا بأبناء الصحوة أن يستفيدوا من علمهم ثم يكملوا نقصهم، بيد أن السبيل لم يكن هذا السبيل، فجاء المولود إلى الدنيا مغوليا لم يعمر طويلا وعاش عمرا قصيرا.

فقد نشأ أكثر أبناء تلك الصحوة بعيدين عن العلم ومجالسه، منافرين لحلق الفقه وقواعده، مما أفضى إلى حماسة جارفة، لا عالم يرشدها ولا مرجعية توجهها، فحصل ما هو معلوم !.

ولا يخطرن ببالك أني أدافع عن هاته الفئة من العلماء تقصيرها، فقد كان حقيقا بها أن تنوء بهذا الحمل، وهو رد الناس إلى الجادة، وتنشئة الناشئة على العلم النافع الذي يختلط بدمها

---

[1] . إعلام الموقعين (165/2).

ولحمها، غير أنهم قصروا فمنهم من أقبرته الإدارة والوظيف، ومنهم من باع دينه بقطعة رغيف، ومنهم من لم يستوعب طموح الشباب، ولم يحسن كبح جماحهم، ومنهم من اجتهد فرأى الصمت أنفع ....

ومع هذا التقصير أو التأويل؛ فإن الأيام قد أثبتت أن توجيهات أولئك العلماء مع اتهامهم بالقصور في فقه واقعهم كانت أحسن بكثير من رأي الشباب لأنفسهم !.

سابعا: لا يشترط في العالم أن يكون مجاهدا:

العلماء هم رأس الأمة ومقدمها، وما نُعِتُوا بالإمامة إلا لتقدمهم في أبواب الخير، ومنزلة الجهاد في سبيل الله لا تخفى فضيلتها على مسلم؛ فالجهاد ذروة سنام الإسلام، وأحق الناس به وبقيادته وتوجيهه هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ألم يقل الله ﷻ: {**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** }آل عمران146.

فأشار المولى ﷻ إلى أن القتال إنما يكون خلف الأنبياء، وأن خضب النحور بالدماء يكون تحت لوائهم، وهذه هي السنة المتبعة من لدن إمام العلماء محمد ﷺ إلى يوم الناس هذا.

فالمتصفح لتاريخ الأمة يجد خيرا كبيرا في علمائها، فعدد منهم لا يقع تحت حصر جاد بنفسه في ساحات الوغى، وهدف بصدره صفوفَ العدو، فكانت مواقفهم مشاعل يُهتدى بها، ودماؤهم سرجا يستضاء بها.

غير أن العلماء في الاستباق إلى الجهاد ليسوا سواء، فمنهم المستقل والمستكثر والمحروم، فمنهم من أقعده عن الجهاد اشتغاله بما هو أهم في نظره، ومُدركه أن مفهوم الجهاد في سبيل الله أوسع دائرة من القتال، وتعددت هذه الأولويات بين التعليم والسياسة الشرعية والقضاء والاحتساب وتزكية النفس ونشر السنة وقمع البدعة وجدال الزنادقة والملحدين وهلم جرا.

ولم تكن الأمة يومها تنصرف عن العالم بدعوى قعوده عن الجهاد، ولا تستنكف من الاغتراف من علمه، لأنهم فقهوا أن الأعمال كالأرزاق أنصبة مقسومة، والسعيد من وفق لما يرضي الله ﷻ من خلال عمله.

يقول ابن القيم: "... قال شيخنا ـ أي ابن تيمية ـ: وهذه الأمور الثلاثة التي فضل كل واحد من الأئمة بعضها؛ وهي: الصلاة والعلم والجهاد هي التي قال فيها عمر بن الخطاب ﷺ: (**لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها لولا أن أحمل أو أجهز جيشا في سبيل الله ولولا**

مكابدة هذا الليل ولولا مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر لما أحببت البقاء).

فالأول: الجهاد، والثاني: قيام الليل، والثالث: مذاكرة العلم؛ **فاجتمعت في الصحابة ﷺ بكمالهم وتفرقت فيمن بعدهم** ".[1]

ولك أن تتفهم هذا الأمر أكثر من خلال هذه القصة التي دارت بين المروذي والإمام أحمد، فقد قال المروذي: " قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك !

قال: أخاف أن يكون هذا استدراجا بأي شيء هذا ؟

وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، **ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله.**

ولقد رمي عنه بحجر، والعلج على الحصن متترس بدرقة فذهب برأسه وبالدرقة.

قال: فتغير وجه أبي عبد الله، وقال: ليته لا يكون استدراجا.

قلت: كلا ".[2]

ولا شك أن الأمة الإسلامية اليوم وقبل اليوم تعيش هجمة حاقدة، هدفها استئصال أهل الدين فيها، بعد أن أُسْقِط الكفرة في أيديهم بعجزهم عن إبادة المسلمين، ولا جرم أن واجب العلماء في صد هذا العدوان كبير.

والعلماء بصفتهم جزءا من نسيج هذه الأمة أصاب كثيرا منهم ما أصاب سائر الأمة من وَهْنٍ مصداقا لقول الرسول ﷺ : " **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا.**

فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ.

قَالَ: **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ.**

فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ: **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** ".[3]

---

[1] . مفتاح دار السعادة (393/1).

[2] . انظر: سير أعلام النبلاء (210/11).

[3] . رواه أبو داود، رقم: 4297، عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ مرفوعا.

فألفيناهم يتخلفون عن القتال في سبيل الله، ولهم الأعذار نفسها التي ذكرناها لمن قبلهم، لكن الشباب دائما ينحي عليهم باللائمة، وخاصة أن جهاد هذا الزمان جهاد دفع لا طلب، ولم يخرج عن هذه القاعدة إلا علماء قليلون كانت لهم مواقف مشكورة في هذا الباب.

وأمام هذا الغياب اضطلعت بعض التيارات الدينية بهذا الواجب، وجعلت من قيامها بهذا الواجب عصا يتوكؤون عليها في طعنهم في علماء الأمة قاطبة إن خالفوهم، وصار ديدنهم التشكيك في مصداقيتهم، ومبلغ حجة أحدهم ما رُوِي عن الإمام المبارك عبد الله بن المبارك: " من اعتاصت عليه مسألةٌ فليسأل أهلَ الثغور، فإن الله يقول: {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**}[العنكبوت:69].

وفي رواية: " إذا رأيت الناس اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** }العنكبوت69 ".[1]

وهذا بغض الطرف عن أخطاء هذه التيارات؛ التي كانت في بعض الأحيان قاتلة بل وهادمة للمشروع الإسلامي.

واستنادهم إلى مثل هذا الكلام في تقرير أحقيتهم بالصواب والطعن في مخالفيهم محل نظر؛ ذلك أن هذا الكلام وإن كان مقبولا فليس صحيحا على إطلاقه، وقد فكرت قديما في استجلاء هذا الكلام والكتابة فيما يوضحه بما يتوافق مع الكتاب والسنة حتى ألفيت الدكتور عبد الوهاب بن ناصر الطريري قد وفق إلى توضيح هذا المصطلح، فاقتضبت كلامه في هذه النقاط التي سأذكرها، ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى الأصل.

ويمكن إيجاز كلامه في النقاط الآتية:

1 ـ أن هذه الآية مكية، من سورة مكية وهي العنكبوت، وقد نزلت قبل أن يفرض القتال.

يقول العلامة ابن عاشور :" و { **الذين جاهدوا** } في الله هم المؤمنون الأولون فالموصول بمنزلة المعرّف بلام العهد، **وهذا الجهاد هو الصبر على الفتن والأذى ومدافعة كيد العدو وهو**

---

[1] . وقد روي معنى هذا الكلام عن الإمام سفيان بن عيينة، يقول الطريري في تخريج هذا الأثر: " لم أجد هذا الأثر، يروى مسنداً إلا من وجهين: الأول: رواه ابن أبي حاتم في التفسير (3084/9)، وفي إسناده من لا يعرف.

الثاني: رواه الثعلبي في الكشف والبيان (290/7) عن سفيان بن عيينة وفي إسناده عبد الله بن محمد بن وهب تركه الدارقطني، لسان الميزان (537/4)، والأعجب أن مظنته الأولى كتاب الجهاد لابن المبارك ولم أره فيه ". ص 5.

المتقدم في قوله أول السورة { ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه }[العنكبوت : 6] **؛ إذ لم يكن يومئذ جهاد القتال كما علمت من قبل** ".[1]

2 ـ أكثر المفسرين على تفسير الجهاد في الآية بمعناه العام الذي يشمل مجاهدة الشيطان والنفس والهوى، مراعاة منهم لمكية الآية والسورة، والقلة التي ذهبت إلى تفسير الجهاد بالقتال يحمل كلامهم على أنه من قبيل تفسير المعنى العام ببعض أفراده.

3 ـ لم يعرف أيام الخلافة الراشدة أن الخلفاء كتبوا إلى أهل الثغر لاستفتائهم في مسألة اعتاصت عليهم.

ولم يعرف هذا عن العلماء من بعدهم، وحتى من نسبت إليه هذه العبارة نفسه لم يك يرجع إلى أهل الثغور للترجيح في مسائل الخلاف.

بل جاء عن أهل العلم خلاف ذلك، فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (167/35) عن محمد بن عبد الحكم قال: جاء أهل الثغر إلى مالك، فقالوا له : إن رأي هذين الرجلين قد غلب على أهل الثغر: سفيان الثوري والأوزاعي، فرأي من ترى نأخذ؟؛ فقال مالك: كان الأوزاعي عندنا إماماً! .

4 ـ لا يُعلم في علم التعارض والترجيح، الترجيح بقول أهل الثغر.

5 ـ حصل في التاريخ ما هو عكس ذلك، فقد حصلت مُراجعة أهل الثغور في اجتهادهم، كما استدرك عمر ﷺ على أَبي عُبيد الثقفي في معركة الجسر، التي هُزم فيها أبو عبيد، فقال عمر رضي الله عنه: لو انحازوا إلي كنت لهم فئة.[2]

وهذا أحمد بن حنبل كان يتعجب من قول أهل الثغور في مسألة من مسائل الجهاد **!** وهي: الطفل الحربي يسبى ومعه أبواه أو أحدهما ، وذهب إلى خلاف قولهم واحتج عليهم بحديث : " **فأبواه يهودانه أو ينصرانه**.."[3] أحكام أهل الملل للخلال والاستذكار (117/3).

وفي طبقات الحنابلة (394/1) أنه ضحك من قولهم وقال : " أهل الثغور يصنعون أشياء ما أدري ما هي !! ".[4]

---

[1] . التحرير والتنوير (135/20).

[2] . تفسير عبد الرزاق (448/1)، ومصنف ابن أبي شيبة (536/12).

[3] . رواه البخاري، رقم: 1359، ومسلم، رقم: 2658.

[4] . أحكام أهل الذمة (193/2).

وهذا إسحاق بن راهويه الإمام الفقيه المحدث قيل له : إن أهل الثغور يلعبون بالشطرنج لأجل الحرب ، فقال : هو فجور! .[1]

6 . أكثر علماء الأمصار، ليسوا علماءَ ثغر، مثل سعيد بن المسيب، وفقهاء المدينة السبعة، والزهري، والأئمة الأربعة، وابن قدامة، وابن حجر، وغيرهم.

بل إن منهم من لم يَشهد معركةً قط، كالأئمة الأربعة فلا يُعلم لهم شهودُ معركة، ومع ذلك فإن أحكام الجهاد إنما أُخذت من فقههم، ورُجِعَ فيها إلى اجتهادهم، وما أقعدهم عن الشخوص جبن ولا خوَر، ولكن وقر في قلوبهم أن ما هم فيه جهاد لا يقل عن جهاد أهل الثغر إن صلحت النية.

7 . ينبغي أن يُفسَّر الجهاد في الآية بمعناه العام، وهو ما فسَّره به أصحاب رسول الله ﷺ فقد جاء في حديث عِباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبس رضي الله عنه وأنا أذهب إلى الجمعة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من اغبرَّت قدماهُ في سبيل الله حرَّمه الله على النار** ».[2]

ثم ختم الطريري بحثه بقوله : " وبذلك يَعلم كلُّ ذي بصيرة أنَّ هذه الآية في توقيت نزولها، وفي تفسير العلماء لها، وعملهم بمعناها لا تلاقي ما يحاول بعض إخواننا سوق دلالتها إليه عندما يَدْخلون باسم الجهاد الذي لم تستوف شرائطه ولوازمه في مواجهات غير متكافئة يفتاتون بالقرار الأكبر والأخطر فيها على الأمة علمائها وحكمائها وذوي البصيرة والرأي فيها برغم أنهم أهل الثغور، وأهل الاجتهاد في أمر الجهاد، ولو غيبت الأمة كلها عن قرار تصل إليها تداعياته وتطالها آثاره وتبعاته ".[3]

أقول: والمشكلة أن بعض من يتبنى هذه الرؤية لم يلتزمها، بل عالم الثغر في نظره هو من وافق رأيه، أما من خالفه فلا اعتبار له؛ فقد رأينا بعض العلماء المجاهدين، الذين لا يرتاب أحد في صدق جهادهم، قد ردت أقوالهم، بل وطعن في مكانتهم، لا لشيء إلا لكون اجتهاداتهم لم توافق قناعات من يحسب نفسه وصيا على الجهاد في سبيل الله.

والحاصل أن من قعَّد لهذه القاعدة عليه أن يزنها بميزان الوحي، فكلام غير المعصوم يحتج له ولا يحتج به، وقد نظرنا في كتاب الله ﷻ فألفيناه يأمر بالرجوع إلى أهل الذكر، كما في قوله : **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }**النحل43

---

[1] . انظر : الكبائر للذهبي، ص 88، والنكت على المحرر للمجد بن تيمية (267/2).

[2] . رواه البخاري، رقم: 907.

[3] . أهل الثغور، ص 4 ، الرابط: http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-42-122545.htm.

وقوله: {**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** }الأنبياء7.

فقد أحال الله إلى أهل الذكر، فأطلق ولم يقيد، فمن قيدهم بصفة القتال فعليه بالدليل، وأنى له به، ودونه خرط القتاد.

كما أمر الله المسلمين عامة . بما فيهم المجاهدين. بالرجوع إلى أهل العلم، وذلك قوله : {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** }النساء83

ولا يعني هذا البتة أننا نقلل من شأن القتال في سبيل الله، فيكفينا في هذا قول الحق ﷻ : {**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً** }النساء95 .

ففيه دليل على تفضيل المجاهد على القاعد من حيث الثواب، مع تجنب تأثيم القاعد؛ لأنه موعود بالحسنى، يقول الإمام الشنقيطي: " يؤخذ من قوله في هذه الآية الكريمة : { **وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحسنى** } أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين؛ لأن القاعدين لو كانوا تاركين فرضاً لما ناسب ذلك وعده لهم الصادق بالحسنى، وهي الجنة والثواب الجزيل ".[1]

ومع فضيلة الجهاد فلا يحق لأحد أن يمنَّ على الأمة واجبا أداه، بل المنة لله وحده.

ويبقى التنبيه إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أن العالم المشهود له بالعلم إن عالج الجهاد بنفسه، ورزق حسن الفهم للنص ومراعاة مقاصد الشريعة؛ فهو مظنة الصواب، وقوله مقدم على قول غيره لخبرته بميادين الجهاد، **وهذا إذا تأيد نظره بالدليل المعتبر**.

وقد تنبه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذه النكتة؛ فقال: " الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا ".[2]

---

[1] . أضواء البيان (206/1).

[2] . الاختيارات الفقهية ضمن الفتاوى الكبرى (539/5).

وقريب منه ما قاله الإمام المعلمي : " ... وهذا النظر قد يختلف فيه المجتهدان، **وأولاهما بالصواب من اعتبر بالتاريخ وكان كثير المخالطة للناس والمباشرة للحروب والمعرفة بأحوال الثغور** ... ".[1]

ومع هذه الأولية فلا يحق له أن يستأثر بالرأي دون غيره، وأن يشاور أهل العلم والفضل، فما خاب من استشار، ورأي الجماعة أسد من رأي الفرد غالبا.

الخاتمة

قد اتضح لنا من خلال هذه الرسالة أن كثيرا من أهل بلدنا اشترطوا في العالم شروطا، وجعلوها ملغية لعلم المرء إن انتفت فيه، وقد حرصت على بيان خطأ هذا الفهم، وبيان تبعاته الخطيرة، حيث انجر عن تبنيه تفويت خير كبير على الأمة.

ومن أهم أسباب هذا الفهم هو الخلط بين مفهوم العالم المحمود والعالم المذموم، وبين ما يستكمل به العالم آلة الاجتهاد وبين ما يخرم رتبة الاجتهاد فيه، فقد يخطر على بال بعض قارئي

[1] . التنكيل (94/1).

هذه الحروف أنني أسوي بين العالم الرباني وغيره، وبين العالم المجتهد المقتدر على البت في النوازل وغيره، وهذا غلط على كاتب هذه السطور . إن فهم ..

فلست أقصد أن كل من تحمل علما فهو العالم المحمود، بل العالم المحمود هو العالم الرباني، وهو الذي استوفى أربع خصال، بينها الإمام ابن القيم في قوله: " .... فَجِهَادُ النّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ الّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إلّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا علمهُ شَقِيَتْ فِي الدّارَيْنِ .

الثّانِيَةُ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلّا فَمُجَرّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إنْ لَمْ يَضُرّهَا، لَمْ يَنْفَعْهَا .

الثّالِثَةُ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدّعْوَةِ إلَيْهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلّا كَانَ مِنْ الّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنْ الْهُدَى وَالْبَيّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللّهِ .

الرّابِعَةُ أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصّبْرِ عَلَى مَشَاقّ الدّعْوَةِ إلَى اللّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمّلُ ذَلِكَ كُلّهُ لِلّهِ ﷻ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنْ الرّبّانِيّينَ؛ فَإِنَّ السّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمّى رَبّانِيًّا حَتّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلّمَهُ؛ فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلّمَ؛ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السّمَاوَاتِ ".[1]

كما أنني لا أقصد أن كل من حصل علما قادر على البت في النوازل حتى يفقه فقه الشريعة وفقه الحال والواقع.

كما لا يلزم من إثبات العلم لشخص أن ينصح كل من هب ودب من عوام الناس بالأخذ عنه؛ كأن يكون عالما متلبسا بالبدعة حتى خالطت لحمه ودمه، أو أن يكون مقدوحا فيه بسبب فسقه وفجوره، بل على اللبيب أن يستبرئ لدينه، وخاصة إذا لم يملك آلة التمحيص.

ولله درُّ خالد بن يزيد بن معاوية حين قال في عكرمة: " **نعم صاحب رجل عالم، وبئس صاحب رجل جاهل، أما العالم فيأخذ ما يعرف، وأما الجاهل فيأخذ كل ما سمع** ".[2]

---

[1] . زاد المعاد (10/3).

[2] . انظر: سير أعلام النبلاء (29/5).

وخذ وصية جامعة فيمن يؤخذ عنه من العلماء خرجت من صدر الإمام مالك وهو عالم مجرب؛ حيث يقول: " **عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله، ويدعوك لحال الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يعلِّلُك قوله، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعله** ".[1]

وفي الختام أقول: لست أذيع سرا إذا صرحت بأن سائقي إلى كتابة هذه الورقات، هو ما رأيته من جفاء في التعامل مع علماء هذا البلد وإن قلوا، وهذه القلة ليس سببها خفيا، فما يفوق القرن وثلثه من الاستدمار الصليبي كان كافيا لطمس معالم أي أمة، ودفن عراقتها واستئصال جذورها، ووأد العلم فيها، لولا لطف الله تعالى.

كما أن بعض من جاء بعد الاستقلال لم يقصر في مواصلة ما بدأه الفرنسيون، ولعل من أكبر هذه الأخطاء في هذا الصدد هو عدم بعث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حملت على كاهلها إبان الاحتلال مشروع التربية والتعليم.

كما أن عامة أهل بلدي . وأنا امرؤ من قومي، فلا أبرئ نفسي .، لم يقصروا في قبر علمائهم، فقد ألفينا طلاب العلم على اختلاف توجهاتهم يتشددون في شرط العالمية في المرء إذا كان جزائريا، ويتعامون عنه إذا كان أجنبيا.

أما العامة فتكفيهم عباءة أزهرية أو غترة نجدية أو جبة شامية حتى يُنوَّمُوا مغناطيسيا، مُسلِمين قيادهم للمتحدث؛ سواء أكان عالما أو غير عالم.

وإن أنسى فلست أنسى كيف غضب الشيخ العلامة أحمد حماني . رحمه الله . وذلك في حصة تلفزيونية، من انصراف جمهرة الجزائريين إلى كل من تزيَّا بالزيِّ الأزهري، بغض النظر عن أهليته في الفتيا، منصرفين عن علماء بلدهم.

ولست أجد في هذا المقام أصدق وصفا في حقنا مما نسب إلى ابن الجوزي حين قال:

عَذِيرِيَ مِن عُصْبةٍ بالعراقِ ... وقلبُهمُ بالجَفَا قُلَّبُ

يرَوْنَ العجيبَ كلامَ الغريبِ ... وأمَّا القريبُ فلا يُعْجِبُ

وعُذْرُهمُ عند تَوْبيخِهمْ ... مُغنيّةُ الحيِّ لا تُطْرِبُ

وأنا أجزم أن هنالك من سيسخط علي مقالتي هذه وهنالك من يرضاها، وحسبي أنني رقمت ما أراه صوابا، فإن أصبت فمن الله تبارك وتعالى وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله ﷺ منه بريئان، وأحسن الله تعالى إلى من أهدى إلي عيوبي.

---

[1] . ترتيب المدارك (64/2).

ولله درُّ من قال:

وما بها من خطأ ومن خلل أذنت في إصلاحه لمن فعل

لكن بشرط العلم والإنصاف فذا وذا من أجمل الأوصاف

والله يهدي سبل السلام سبحانه بحبله اعتصامي

هذا، وبعد هذه الومضات الخاطفة يحق لي أن أتساءل !

هل عقمت الجزائر أن تلد علماء ؟!

والجوابُ أكِلُهُ إلى القارئ الكريم .....

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: أبو عبد البر

بلدية حامة بوزيان . قسنطينة

manil3alim@gmail.com

8 ربيع الأول 1435 هـ الموافق: 9 ديسمبر 2014 م

فهرس الموضوعات

المقدمة 1

أولا: خلو العالم من تزكية مشرقية....6

ثانيا: انتفاء العدالة لا ينفي العلم عن صاحبه....12

ثالثا : الابتداع لا ينفي العلم عن صاحبه....19

رابعا: لا تشترط الموسوعية في العالم 26

خامسا: نقص الفصاحة في العالم لا تنفي علمه 31

سادسا: اشتراط الفقه بالواقع في العالم 33

سابعا: لا يشترط في العالم أن يكون مجاهدا....34

الخاتمة... 41

فهرس المصادر والمراجع:

الإبراهيمي محمد البشير (ت 1965 م)

1 . آثار الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.

أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241 هـ)

2 . المسند. تحقيق: شعيب الأناؤوط وآخرون. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1: 1417 هـ . 1997 م.

الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الأندلسي (المتوفى : 474هـ)

3 . التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق : د. أبو لبابة حسين، الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط1 1406 – 1986.
4 . المنتقى شرح الموطأ. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1: 1420 هـ. 1999 م.
ابن باديس عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي (ت 1359هـ)
6 . مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. ت: أبو عبد الرحمن محمود، الجزائر، دار الرشيد، ط1، 1430هـ. 2009 م.
7 . آثار ابن باديس. تحقيق: عمار طالبي. دار اليقظة العربية، ط1، 1388 هـ. 1968 م.
البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256 هـ)
8 . صحيح البخاري مطبوع بهامش فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز وآخرون. دمشق، مكتبة دار الفيحاء، د، ت.
ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ)
9 .كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، اعتنى به : د، صلاح الدين الهواري. بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 1423 هـ. 2003م.
البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت 885 هـ)
10 . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د، ت.
بن عويمر مولود
11 . تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، الجزائر، دار قرطبة، ط1: 1432 هـ. 2011 م.
البوطي محمد سعيد رمضان (ت 1434 هـ).
12 . فقه السيرة النبوية. دمشق، دار الفكر، ط11، 1412 هـ. 1991م.
التبسي العربي بن بلقاسم (ت 1376 هـ)
13 . **بدعة الطرائق في الإسلام** . تحقيق: محمد شايب شريف. بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1426 هـ. 2005م.
ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت 728 هـ)
14 . اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: د، ناصر العقل. الرياض، دار إشبيليا، ط 2: 1419 هـ. 1998م.
15 . الفتاوى الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، د، ت. 35
16 . مجموعة الفتاوى. اعتنى بها: عامر الجزار، أنور الباز. المنصورة، دار الوفاء، ط 2: 1421 هـ. 2001م.
ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي (597 هـ)
17 . زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1422هـ. 2001 م.
ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي السجستاني (ت 354هـ)
18 . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . الأمير علاء الدين علي الفارسي (ت 739 هـ). تحقيق: شعيب الأناؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2: 1414هـ. 1993 م.
ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (852 هـ)
19 . تهذيب التهذيب. تحقيق : إبراهيم الزيبق وعادل مرشد. بيروت، مؤسسة الرسالة، د، ط.
ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت 456 هـ)

20 . رسائل ابن حزم . تحقيق: د، إحسان عباس. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980 م.
حماني أحمد بن محمد بن مسعود.
21 . صراع بين السنة والبدعة. الجزائر، دار البعث، ط1، 1405 هـ . 1984م.
الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ)
22 . تاريخ بغداد أو مدينة السلام. تحقيق: عواد بشار معروف. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1: 1422 هـ . 2001 م.
ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ)
23 . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: د. إحسان عباس . بيروت، دار صادر، د،ط.
خير الدين محمد (ت 1993 م).
24 . مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزائر، مؤسسة الضحى، ط 2: 2002 م.
الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ)
25 . سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1405هـ . 1984م.
ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (795 هـ)
26 . الذيل على طبقات الحنابلة. تحقيق: عبد الرحمن العثيمين. الرياض، مكتبة العبيكان، ط 1، 1425هـ . 2005 م.
الريسوني أحمد
27 . البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله، ضمن المكتبة الشاملة.
الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي (ت 790 هـ)
28 . الاعتصام. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الأردن، الدار الأثرية، ط 2، 1428 هـ . 2007م.
الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الموريتاني (ت 1393 هـ)
29 . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم. اعتنى به: صلاح الدين العلايلي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1417 هـ . 1996م.
الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ)
30 . المعجم الكبير . تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط 2،
ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت 1393 هـ)
31 . أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي. القاهرة، دار السلام، ط2، 1428هـ . 2007م.
32 . التحرير والتنوير. بيروت، مؤسسة التاريخ، ط1، 1420هـ . 2000م.
ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463 هـ)
33 . جامع بيان العلم وفضله. تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي. بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1424 هـ . 2003م.
34 . الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار. قدم لها: عبد الرزاق المهدي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421 هـ . 2001 م.
35 . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: أسامة بن إبراهيم. القاهرة، الفاروق الحديثة، ط3، 1425 هـ . 2004م.
ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله (ت 543 هـ)

36 . أحكام القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1: 1421 هـ . 2001م.
37 . العواصم من القواصم. تحقيق: د، عمار طالبي. القاهرة، دار التراث، ط 1: 1417 هـ . 1997م.
38 . القبس في شرح موطأ مالك بن أنس. تحقيق: أيمن نصر الأزهري، علاء إبراهيم الأزهري. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ . 1998م.
39 . المسالك في شرح موطأ مالك، قرأه وعلق عليه: د، محمد السليماني وعائشة السليماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1428هـ . 2007م.
عياض أبو الفضل بن موسى السبتي (ت 544 هـ)
40 . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي. المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، 1403 هـ . 1983م.
القاسمي محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد (ت 1332 هـ)
41 . قواعد التحديث، بيروت، الكتب العلمية، د، ت.
ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ).
42 . تأويل مختلف الحديث. تحقيق: محمد عبد الرحيم. بيروت، دار الفكر، ط1، 1415 هـ . 1995م.
القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 641 هـ).
43 . الجامع لأحكام القرآن. صححه: أحمد عبد العليم البردوني وآخرون، د، ن.
ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751 هـ)
44 . إعلام الموقعين عن رب العالمين . تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الرياض، دار ابن الجوزي، ط1، 1423 هـ.
45 . زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق: عبد القادر وشعيب الأرناؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط26، 1412 هـ . 1992م.
46 . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي. السعودية، دار ابن عفان، ط1، 1416هـ . 1996 م.
ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت 774 هـ)
47 . البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة، دار هجر، ط1، 1417 هـ . 1997م.
48 . تفسير القرآن العظيم. قدم له: عبد القادر الأرناؤوط (ت 1425هـ). دمشق، مكتبة دار الفيحاء، الرياض، مكتبة دار السلام. ط1، 1414هـ . 1994م.
ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273 هـ)
49 . سنن ابن ماجه . حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور آل سلمان.الرياض، مكتبة المعارف، ط1، د، ت.
مسلم أبو الحسين ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)
50 . صحيح مسلم، مطبوع بهامش شرحه للنووي. خرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد. القاهرة، دار ابن الهيثم، ط1، 1424 هـ . 2003 م.
المعلمي عبد الرحمن بن يحيى العتمي اليماني (1386 هـ)

51 . التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. الرياض، مكتبة المعارف، ط 3، 1426هـ . 2005 م.

المقري أحمد بن محمد التلمساني

52 . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. بيروت، دار الفكر، ط1، 1419 هـ . 1998م.

الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري

53 . مجمع الأمثال، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد،بيروت: دار المعرفة، د، ت.

الورثيلاني الحسين بن محمد السطيفي الجزائري (ت: 1193 هـ . 1779 م)

54 . نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية، مع تعليقات العلامة ابن مهنا القسنطيني، خدمه: محفوظ بوكراع، مصطفى ضيف، الجزائر: المعرفة الدولية، ط: 1432 هـ . 2011 م.